

المسحاة

مجلة

المجلد الثالث عشر
الجزء التاسع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(الجبيلات)

﴿ اِنْشَاء ﴾

تذکرہ

وہابیہ کی فہرست

﴿ قُلْ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْإِسْلَامِ ۚ إِنَّ الْإِسْلَامَ صَوِيٌّ وَهُوَ مُتَرَا ۚ وَكُنَّا الطَّيِّبُ ﴾

(الاثني عشر من رمضان ١٢٦٨ - ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٢٨٦ - ١٩١٠ م)

باب الثالث

بحث في الخلاف (*)

ولنوضح لك صورة من كثير صور من شطارة أهل وقتنا الذين هم كما ذكرنا خير الناس^(١) سيرة اليوم فيما علمنا وكيفية تصرفهم فإنه إنما تعد معائب من غلبت عليه مناقبه

كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

وضموا عن زكاة النعم على كل شاة أربعة دراهم من ضربهم وستسمع الآن قدرها فتؤخذ على مئتي شاة مثلاً ثمان مئة درهم مع أن الواجب شانان ولم يكونوا قبل يعتدون بنصاب الشاة والبقرة ثم ذكروا النصاب لكن تؤخذ قيمة نحو ما ذكر كالمئينة لا من عين المال وهذا حق المال الشرعي بزعمهم ولا ندرى بأي وجه تعين ما ذكر من الصورتين ولا كيف تكون الثالثة وكثير من المأخذ له نحو ذلك من المدخل هذا ما سمعنا في بعض الجهات ويزيد قليلاً وينقص كذلك في بعض الجهات والمقصود التقريب . هذا حين يريدون الأخذ وأما حين يريدون انصاف المظلوم من الظالم فيأمرون باخذ الدية الف حرف والحرف عبارة عن أربعين درهماً من ضربهم وهي تخرج الدية تقريباً من الذهب مئة دينار وستين أو سبعين ديناراً فيسقطون نحو أربعة أخماس الدية وعلى هذا نفس حال خير الناس الذين يجب شكر الله على أن أنعم بهم نظراً إلى سائر الأرض وسألت بعض قضائهم حسن

(١) قلا عن كتاب العلم الشاغل في إثبات الحق على الآباء والمشايع (١) يزيد الزيدية

(المار ج ٩) (٨٤) (المجلد الثالث عشر)

٦٦٦ مفاسد الخلاف بالتكفير واستحلال الاعراض (المنار ج ٩ م ١٣)

الخيبي ما هذه الدية التي تحكمون فيها؟ فقال قال الامام يعني المتوكل اسماعيل بن القاسم امام مصر تكون هذه الدراهم قيمة عن نوع آخر من انواع الدية يعني لان انواعها عندكم كلها اصول في أهل الابل والذهب وغيرها على السواء ويخير الجاني عندكم ايضا. فقلت للقاضي تعال ننظر في قيمة تلك الانواع فنظرنا فارأيناها الامتقاربة بالنظر الى الارض التي كنا فيها صنعاء وما والاها وعلى الجملة فانما ذلك الجواب ترميم والمسألة ماثلة عن السنن كاخواتها في جميع الفرق انما الفرض التمسك للتنبيه

صورة أخرى قليل تقمها لهم كثير ضررها بل بلية عظيمة على جميع الناس في وقتنا هذا ضربة فضة من عمل الكفار يسمى القروش فاخذت هذه الدولة منها وضربت بها دراهم وخطوا فيها نحاسا نحو الربع تقريبا ليكثر عددها فيربحون بزعمهم ذلك القدر الزائد وهي سنة اقتدوا بها عن من مضى من الاتراك وغيرهم الذين يطمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. لكن لم تر الناس اذ ذاك المصارفة وزنا لانه لا يصلح لهم بيع الفضة بالنحاس وهو ربا ايضا فصارت الضربة كسائر السلع يرتفع عنها تارة ويخفض أخرى ويبيعون الدراهم بالقروش بالعد لا بالوزن ففعلوا هذا الباطل وهم يعلمون حين دعيتهم الضرورة الى الصرف ثم نهاهم الامام عن الصرف مع اصراره على الضربة وشدة حاجتهم الى المصارفة فكان عملهم معهم كما قال

لقاء في اليم مكتوبا وقال له إياك إياك ان تبطل بالماء

ومن مفاسد الخلاف استحلال الاعراض وهو واضح فانظر ما في هذه المصنفات من العياط والبهتور والتكفير بلا دليل حتى ان الاشاعة

اصلوا انه لا يكفر أحد من أهل القبلة وانما الكفر البواح ولا كفر بالتأويل
ثم تجدد في تضاعيف كتبهم المناقضة وكذلك الماتريدي في كلام امامهم الاعظم
ان لا يكفر أحد من أهل القبلة ولم أر التكفير اسهل على أحد ولا اكثر
منه في متأخري الحنفية كأنهم يكفرون بكل إلزام ولو في غاية القوض ،
ومنع بعض الناس قريبا من بعض متفقيهم نعله فقال كفرت لانك هونت
العلماء وهو تهوين للشريعة ثم للرسول ثم المرسل ونحو هذا يفعلون في كل
شيء ، وفعل بعضهم شيئا من منكرات الدولة فقال المظلوم: هذا ظلم وحاشي
السلطان من الامر والرضى به . فقال انا خادم الدولة المتتبع الى السلطان
فقد نسبت الظلم الى السلطان فهونت ماعظمت الشريعة من امر السلطان
فكفرت فأخذوه وجاءوا به الى القاضي وحكم عليه بالردة ثم جدد اسلامه
وفعل ما يترتب على ذلك. وهاتان الحكايتان في مكة عصر تاجر دمشقي ولا تزال
الستهم رطبة بذلك وهو في رسائل المتأخرين وفتاويهم وسائر كتبهم وهي
عظيمة هونها عموم الجهل وكساد الانصاف، وتفاق النفاق والاعتساف ،
نسأل الله حسن الخاتمة لنا ولجميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ثم رأيت كتاب التمهيد لابي شكور السالمي من الحنفية واذا هو لم
يكذب ولم منه أحد من التكفير لان من أول الكتاب الخ يقول قال أهل
السنة والجماعة كذا وقالت الاشاعرة وقالت الفلانية ولا يزال يحكم بالكفر
كقوله قال أهل السنة والجماعة ان الله تعالى لم يزل كان خالقا^(١) موصوفا
بهذه الصفة وقالت الاشعرية والكرامية ما لم يخلق الخلق لم يكن خالقا وهذا
(١) يوشك ان يكون اصل العبارة ان الله تعالى كان - في الازل - ولم يزل كما

كان خالقا الخ

٦٦٨ المعتزلة . مذاهبهم في التكفير وعذاب القبر (المار ج ٩ م ١٣)

كفر انتهى صورة لفظه ومن السج ان يسمى نفسه أهل السنة والجماعة في كل محل ثم يمد أفراد الفرق الذين يسمون بذلك كالأشعرية وغيرهم، وغيره لم يبلغ هذا الحد بل يقع منهم ذلك نادرا يقول بعض الأشاعرة قال أهل السنة وخالفت الماتريزية أو الحنابلة أو نحو ذلك على ان ذلك شائع باعتبار التسمية بذلك انما اخترعها صاحبها ولم يوافق عليها الخصم ولكل ان يدعي (وليلي لا تقر لهم بهذا) وهذا المذكور لا أدري ما أقول فيه فانه يحكي الاقوال ويجيء بما لا يوجد في أي كتاب ولا هو مما يتركب على الناقل ولا هو نادر واما المعتزلة فانما مدلول المعتزلي عنده من يصح ان ينسب اليه كلما أتته الشياطين ، اوجالت به وساوس المجانين ، فليطالع وعلى الجملة فأكثار الاطلاع سيما على الكتب المشهورة في كل فرقة يزيد المهتدي بصيرة وطماينة في الهدى مع التوفيق والتسديد ، واخلاص النية للعزير الحميد ،

واما المعتزلة فهم فريقان وليسوا كلهم يكفرون بالتأويل كما تراد في كتب الأشاعرة ولكن صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير بل يروي الكذب والبهت كما قدمنا وكما تذكر الأشاعرة ان المعتزلة تنكر عذاب القبر ترى ذلك فاشيا بينهم حتى القشيري في التخيير شرح الاسماء الحسنى وكأنه استند في ذلك الى الكشف . واما النقل فباطل وهو شبهه قذف الغافلات فان المعتزلة لا يكاد يظن قائل يقول هذا الاشدوذاً مثل المريسي وضرار وهمايت الغرائب مع ان ضرارا ليس من المعتزلة في روايتهم لانهم رووا عنه القول بالرواية بحاسة سادسة ورووا عنه القول بخلق الافعال وانه رجم عن الاعتزال بسبب شبهة ان يكون فعل المبد

(المار ج ٨ م ١٣) انتقاد رجال الجرح والتعديل ٦٦٩

أشرف من فعل الله تعالى وعلى الجملة فليس شذوذ عن الفريقين بفريب
وانما المنكر إثم المعتزلة قوله وانما هذه المسألة كسائر المسائل بل لا بد
فيها من شذوذ كشذوذات العنبري والظاهرية وهذا شيء كبير يظلمك عليه
كتب المقالات ودع عنك المتكلمين

ومن المضحكات عند المحدثين أنهم يقومون على أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب رضي الله عنه حتى يخرجون من يقول ودّ أنه معه في كل
المواطن كشريك القاضي ومن لا يحصى^(١) ثم تراهم يفتون بكفر من لا
يساعدكم على نواذر ما عليها معرّج ويرون ما المعلوم خلافه لكل من
عرف ذلك بلا حياء كما حكى الذهبي أن ابن دحية قال في يحيى بن نيمان
ضال مضل عجز الله وقال نحن أقدر منه وهو قول القدرية جميعهم وهذه
الجملة الأخرى الظاهر أنها من قول ابن دحية ويحتمل أنها من قول
الذهبي مع أنه لم يعترضها ومن قال أنه أقدر من الله فهو كافر تصريح
لا من باب التأويل ونحو هذا ما حكى في ترجمة عمر بن إبراهيم العلوي
أنه جارودي لا يرى الفصل من الجنابة فلو صدق لكان قد انكر ضروريا
من الدين ولم يمامله بذلك وكتائبهم متناقضة اذا تكلموا في غير فهم

(١) تقدم قريبا كلام الذهبي في الجرح بالتشيع وإن المراد به اذا بلغ الى الخط
على الشيعين فتكوير المصنف رحمه الله لئلا هذا عنهم داخل في قوله ومن مناسد
الخلافا استحلال الاعراض فالحدثون اتقى الله من مثل هذا فهم الذين روي أن
حب علي رضي الله عنه علامة الايمان وبفضه علامة النفاق فكيف يرضون لاقتسام
بالتناق الذي صاحبه في الدرك الأسفل من النار فليس هذا انصاف لهم من المصنف
رحمه الله اه من هامش الاصل

٦٧٠ انتقاد رجال الجرح والتعديل (المخرج ٩ م ١٣)

وهكذا كل دخیل وليس لهم في ذلك كل العناية مع ان قوله جارودي لا يرى الفصل من الجنابة يفهم من هذه العبارة انها وصف كل من كان جاروديا فيتسم الخرق على الواقع وكما مضى ذكره من قولهم من قال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى فهو كافر وغير ذلك ولكن قال في صالح بن حيّ ذاك الاواء انه قد استعصب منذ زمان ولم يجد من يصلبه يعني لانه يرى الخروج على أهل الجور كرأي الحسين بن علي ثم حفيده زيد بن علي ومن تبهم من الزيدية بل وابن الزبير ومن تابعه من فضلاء الصحابة والتابعين بل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم الا أن خطأهم كان واضحا لان امامهم لم يكن يتثبت به الريب ولقد كانوا فتنة لهذه الامة كما قال عمار رضي الله عنه والله انها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اياه تطيعون أم هي فرضي الله عنها وعن طلحة والزبير وعن علي وعمار ومن هو من ذلك القبيل كالحسين السبط وزيد بن علي وأبعد الله مروان وابن جرموز وابن ملجم والحجاج وزيد وابن زياد ومن هو من ذلك القبيل أميرهم ومأمورهم

ولعمري لمقاصد أئمة الزيدية في قيامها وسيرها أشبه بالصالحين من السلف لولا دغل من الهوى وغلو فيما يعود على الرياسة وداؤها كين ما يظهر الا بعد أن يستحكم وبعد الاستحكام لا يمكن علاجه كالكتاب ولقد دخل داؤها في كل ذي مقصد حتى في الوعاظ الذين رأس ما لهم التحذير من الدنيا التي قطبها الرياسة فتبقيظ من الاحوال لما ذكرنا وغير ما ذكرنا مما يطلعك عليه كتب الجرح والتعديل وكتب السير والاخبار والحكايات والآثار مع التيقظ في كل باب لزواياه وخباياه وليتهم شفاهم ما في الكتب

(المترج ١٣٩٩) مفاسد الخلاف في ترك الجهاد وقمادي حكومات المسلمين ٦٧١

أعني المختلفين حتى يختص هذه المفاسد من له اطلاع على الكتب ويسلم من ذلك العامة

ولكن استولى عليهم الشر فصاروا يكررونه على المنابر كل جمعة
كانه الذي وصاهم الله بالتذكير به لينفخوا المؤمنين وأمرهم بالسبي إليه
فالخارجي يلعن أمير المؤمنين والرافضي يلعن الخلفاء الراشدين والسني
يسب الشيعة والشيعة يسب الباغي والجبري وهذه سنة سنيتها من
سنيها في سب علي رضي الله عنه فإلها من شنيعة ما أخزاهاء، وفضيحة عم
بلاها، ولولا أن عمهم الوهن في دينهم لقام أهل كل جامع حين سمعوها
والعجب ممن يحسن الآن لواضعها كأنه يريد أن يشارك فيها لما تأخر
عن وقتها فأخزى الله المحاباة في الدين، والضنة بالانفس والاموال
والبنين، ولقد ضاعت هذه الامة أهل الكتابين في قولهم «وقالت
اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
وهم يتلون الكتاب» وبعضهم يقول في بعض فوق ما ذكرنا والانصاف
أن الحق لم يخرج عن أيديهم جميعا والحمد لله فعند كل الحق وكل قد
ابتدع وان اختلف قلة وكثرة وصغرا وكبرا ومن يطلب الحق وقد هياه
الله ويسره يعرف هذا من ذلك «فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

ومن مفاسد الخلاف سد باب الجهاد لاعداء الاسلام مع انه فرض
كفاية وهو سنام الدين، ولا انقطاع له الى يوم الدين، ولما استحكمت
العداوة بين فرق المسلمين تركوا الكفار وصرفوا همهم في حرب بعضهم

٦٧٢ مفاسد الخلاف في منع الاجتهاد (المأرج ٩ م ١٣)

بعضاً وإنما استعجم ذلك من حين استعجم التفرق وصاروا أجنادا مجندة وقد كان في الدولتين حين كان السلطان واحداً جهاد الكفار مستمرا مع عدم استقامة الخلفاء على الحق ولكن كم بين تلك الأحوال وهذه الأحوال لو يستطيع أحدهم اليوم أن يستعين على خصمه من المسلمين بالكفار لفعل^(١) وليتهم تصالحوا على أن يأمن بعضهم بعضاً ويستقل كل منهم بمن يليه من الكفار ويستعين بعضهم ببعض ولكن ذلك لو كان المراد مطلوب الله منهم ولوا تبعوه لكانت يدهم واحدة كما قدمنا نعم من اتصلت مملكته بالكفار حفظها منهم كحفظه من مخالفه المسلم وهذا نوع من الجهاد ولكن المطلوب صرف هم المسلمين لحرب الكفار والغزو وإن لم ينحشوم إلا من باب حفظ الملك ولكن عداوة في الله وتكون كلمة الله هي العليا في جميع أرضه وهذا هو القرض الذي لا يسوغ الاجتماع على تركه

* * *

ومن مفاسد الخلاف سد باب التفقه في الدين ومعرفة الكتاب والسنة حتى صار المتشوف لذلك متفقا على جنونه وخذلانه عندهم ويصرحون أن الاجتهاد قد استحال منذ زمان وإنما دس لهم الشيطان ذلك لانه لو بقي الباب مفتوحا لوقع لتأخري المجتهدين أن يوافقوا هذا في مسألة وذلك في أخرى ويصير لبعضهم اتباع فينتقض عليهم استقرار المذاهب ويختلط الأمر حتى يعود كما كان في وقت الصحابة رضي الله عنهم وهذا يقرر مغزى

(١) أنهم قد استطاعوا وفلوا والاولى أن لا يعيد ذكر ذلك ونحن نسعى في تلافيه

(المارچ ٩ م ١٣) مقاسد اختلاف في منع الاجتهاد ٦٧٣

الشیطان لعنه الله تعالى قد دس لهم ذلك ومن لم یصرح بذلك فسله علیه
تراه یدأب اکثر عمره فی العربیة واصول الادلة ومعرفة الحديث ثم اذا
صلو مدرسا متمکنا فی تلك الفنون اخذ فی کتب التفاریم المدونة من الباب
الذي دخله الجاهل بتلك الفنون وكأَن الكتاب والسنة مع هذه التفاریم
اجنبیة لا تراعى نیرانها ولو نظر فی شيء من الادلة ووقع فی نفسه شيء مما
ینبغی ان یفطر فیهِ لما قدر علی التظہر بذلك لانهم یقومون علیه ویردون
ما جاء به بلسان واحد ویقولون هذا ینقم علی الائمة ویخالقهم یری نفسه
خیرا منهم ، وقل احواله معهم ان یسقط جاحه عندهم ویحرموه هذه
الارزاق وان کان له ضد منافس قد یسعی به الی الدولة ویقضون فیهِ علی
حسب ما یقضي الهوى فی القضية . حتی ان السبکی ذکر انه نظر فی مسألة
السمع فرآها حلالات ثم قال الحمد لله الذي جعلنا من مقلدي امام اذا تأقت
تقوسنا للنظر فی مسألة لم تقع الا علی قوله فانظر هذه الکلیة التي تدل علی
عراة هذا التحریر فی الکمال والدين . وكذلك ذکر ان الذين یلقوا درجة
الاجتهاد من علماء الشافعية مع عدم المخالفة لبسوا بمقلدة انما وافق اجتهادهم
اجتهاده قال ولا یخرجهم ذلك عن الاتساب الی الشافعي فانظر طبقات
المذکور ترى فیها المعجائب ومن فعل نحو فعله صار وجیها عند أهل ذلك
المذهب فی حیاته وبعد موته وأما من قال أنا اتبع هذه الآیة وهذه السنة
وان خالفت الامام فذلك المتخبط المدعی الذي لا یرفع الی کلامه رأسا
بل ینهی عنه وعن کتبه وهذا فی جمیع هذه الاحزاب الهزبة فصار الباب
مظقا ، حتی صار المعروف منکرا ، و ذکر التعلق بالكتاب والسنة وترك

٦٧٤ إبطال حجة الكتاب والسنة بمنع التفقه فيها (المنازع ٩ م ١٣)

المذاهب المبردة كالزندقة عندهم خلا عنهم لا يقولون الكتاب والسنة هو الضلال خشية أن يكون كفر بواحاً ولكن يقولون قد انسحب معرفتهما وما عرفوا أنه إذا انسحب معرفتهما فقد سقطت حجتهما فوجودهما وعدمهما على السواء ولكنهم لا يباون بهذا ويقولون قد أخذ عمرتهما الأئمة وفضلوا ما يجب فالحجة اليوم كلامهم لا غير وصارت تلاوة الكتاب مجرد تعبد والحذر أن يتدبره التالي فيخالف الأئمة فيضل وكذلك السنة إلا أن قراءتها بركة وربما يحصل لهم بذلك مراتب دينية ووجه في الناس والا كان فطهم

مجرد حب

وهذا الذي وصفناه من يظن ولم يعرف حال الناس ما يسوغ له أن يقع هذا أبداً ومن عرفهم علمه ضرورة فذكرنا لنحو هذا مجرد إنكار فن يجهله لا يصدقه في علماء الإسلام الذين طبقوا الأرض ومن يعرفه يقول وما ثمة هذا الهذيان وهيئات ليس الشأن في معرفة ذلك من أحوالهم إنما الشأن في السلامة من الوقوع معهم فإنا رأينا الفضلاء فعلوا كما ذكره صاحب كلية ودمنة من شأن السلطان ووزيره في شرب الماء فهذا هو سد باب التفقه في دين الله لأن دين الله الكتاب والسنة والتفقيه إنما هو من عرفهما وأما معرفة هذه التفاريح فمجرد استغناء عن عين الحكم فالمسعى بالمفتي والحراث والسوقة سواء إذ أولئك لا يخلون من أحكام قد قلدوا فيها فما زاد عليهم هذا المفتي إلا بكثرة الصور التي جمعها وليست من التفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في شيء. ألا تراه معترفاً أنه لا يقدر على معرفة النسبة بين ما عنده وبين الكتاب والسنة

واجب مما ذكرتهم جروا على هذا النمط فيما بين المتقدم والمتأخر

(المار ج ٩ م ١٣) تناقض المقلدين في إثارة التأخرين على الأولين ٦٧٥

فيعتبرون المتأخر ويطرحون المتقدم عصراف عصراف الى يومنا هذا مثلاً لو قال المنتسب الى الشافعي من الطلبة قال الشافعي لسخرؤا منه وقالوا يرى نفسه أهلاً لمعرفة قول الشافعي^(١) بل لو قال قال الرافعي وإنما المصرية منهم اليوم مقصودون على الرمي يقولون لا يجوز الافتاء بغير قوله ويقولون اخذ علينا المهد بذلك لا ندرى اي الالباس اخذ عليهم ذلك لكننا سمنا ذلك منهم وأهل مكة يقولون لا نعدل بقول ابن حجر الهيتمي فصار شأن العلماء المتقدمين وكتبهم كشأن الكتاب والسنة ولذا ترى تلك الكتب مهجورة. لقد وجدت في باب السلام أربعة عشر مجلدة عرضها صاحبها ثمن مجلدة صغيرة من المحطية مع ان في تلك مثل العزيز شرح الوجيز ثم لم تنفق وأرجعها الدلال لصاحبها وهذا في الشافعية أكد منه في غيرهم وكل قد فعله حتى سمنا من بعض الطلبة انه لا يجوز العمل على قول المتقدم لان المتأخر قد ميز الصواب من الخطأ

ونقول لهم لو خلقكم الله سبحانه في العصر المتقدم عليكم وانتم على الحال الذي انتم عليه الآن أكانت حجة الله عليكم قائمة عليكم؛ فلا ترام يجيئون الا بنعم فنقول تنتقل معكم الى العصر الذي قبله كذلك حتى نبلغ الى عصر الصحابة ثم الى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيعترفون بالحق ويصرون الى ذلك الحال المألوف بمجرد الهوى وكأنهم لم يسمعوا كأنك

(١) طبع في هذه الايام كتاب (الام) للإمام الشافعي وبهامشه رسالته في الاصول ومختصر المزني فقال بعض علماء الشافعية في مصر والحجاز ان طبع هذا الكتاب يفسد المذهب وفيه ضرر عظيم وهم يتهنون عنه وينأون عنه افرحم الله المصنف وكل عالم مستقل اه مصححه

٦٧٦ تناقض المقلدين في إثبات التأخر بن علي الأولين (المار ج ٩ م ١٣)

لم تقل، ونقول لهم هل المتأخر أفضل من المتقدم حتى رجعتهم اتباعه؟ فيقولون بل المتقدم أفضل فنقول فقد عدلتم عن الأفضل وقد يقول أحدهم إنما هو استقصار لنظرنا عن معرفة قول الأول فنقول لا فرق بين كتاب وكتاب وليس من اللازم أن المتأخر أجلى بيانا وأوضح عبارة وبرهانا بل لا يزالون مختلفين وكلام الله ورسوله أصبح وأوضح، وأجل وأجلى وأشرح، وإذا بلغ مجزكم إلى ما ذكرتم قلنا يا أغبا الناس وأدناهم، ثم لانسلم لكم معرفة كلام أحدث المصنفين، ولا كلام أشياخكم المدرسين، على قدر ما عترقتم به على نفوسكم من سوء الحال، وسقوط الشأن وضيق المجال، فأتقوا الله في هذه الصحف والأقلام، والمساجد التي صدعتموها بالخصام، ولكم يقاتل أسوة في شعره، فلقد كان اعرف منكم لقدره، حيث يقول مترجما من عنده

يلومون في حقه باقلا والصلت أجدر بالاموق

خروج اللسان ومد البنان أحب إلينا من المنطق

وهذا باعتبار شبيه قول الامامية: غير المعصوم يجوز عليه الخطأ قلت لبعضهم فهل المعصوم حاضر أبدا عند المكلف لكلام عرض عليه كي يصونه عن الخطأ قال لا بل لا بد من واسطة غير معصوم قلت فاذا ذلك مسلم والمعصوم موجود هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدل هذا الدليل مع تسليمه الا على معصوم واحد لا على ثلاثة عشر معصوما فانقطع ويناسب هذا الحل قولي

برئت من التمدب طول عمري وآثرت الكتاب على الصحاب

ولي في سنة المختار صلى عليه الله ما يشفي التهاني

(المترجم ٩ م ١٣) تناقض المقلدين في إثارة المتأخرين على الأولين ٦٧٧

ومالي واتمذهب وهو شيء
وأما من يريد الحق صرفاً
ويرجو حسن عقباء إذا ما
وفيه همة عاتت وتناقت
وقد رزق الحياء فلا يسوي
فلا والله لا يرضى صنيماً
لئن أبى الآله لهم صواباً
رضيت لهم من الوجه الذي لم
وأثري من سوى هذا فإني
لمعري إنما حاولت أمراً
ولكن حبيهم حلوى هواهم
فلم تر من يسدد سهمه في
وناية أمرهم لقط وبهت
يقولون ادعى أمراً عظيماً
وقالوا ليس يعرف من إمام
لئن كنتم غلوكم في إمام
تبرضتم ثماداً ثم قلمتم
وقلمتم قد حجبتكم أن تنالوا
فمن ذا بالفلاح أحق منا
وقلنا حجة الرحمن فينا
ولو لم يخلق النعمان أو من

يروح لدى الماري والمهاجي
ويوجل قلبه ذكر العقاب
تميزت المنازل في الثواب
سقوط الشأن أو حسن المآب
رب العالمين بني التراب
أباه كل من تحت السحاب
لقد ضلوا كثيراً عن صواب
يخل من الشريعة بالانصاب
أرى انصافهم شيب الغراب
بيداعن شكوك وإرتياب
إذا قمم الإصابة طعم صاب
حيال الحق في رجوع الجواب
ورفض للمسروقة والكتاب
يكاد لديهم يدعى بصابي
مقاماً وهو للانصاف آبي
وما هبتم مفارقة الكتاب
تجنب وارد البحر العباب
بدون إمامكم فهم الخطاب
ولم ير دون فهم من حجاب
إلى يوم القيامة والحساب
يضاهيه من العلم النجاب

٦٧٨ من مفسدات خلاف ترك الجمعة والجماعة (المأرج ٩م ١٣)

ولكن ذا الكتاب وذا حديث م النبي وذا اللسان بلا استراب
ويستفي الذي قصرت يداه بغير تحزب وبلا انتصاب
كأعراب زمان الصهب كانوا وأعلام سقوا صفو الشراب
ومن مفسدات خلاف ترك الجمعة والجماعة وهما من شعار الإسلام
أما الجمعة فلكثرته التحكيم في شرائطها وإنما هي صلاة من الصلوات أقرب
ما يشترط فيها اتحاد الجماعة لأنها شرعت لاجتماع المسلمين في هذا اليوم
وكانوا يعطلون مساجد الجماعات لها وهذا أمر فوضي في مصر اليوم
يصلون في المساجد بلا تقييد بقيد حتى أن الشافعية يصلون الجمعة ثم يصلون
الظهر على الإطلاق ورأيت مصرياً في مكة فرغ من الجمعة ثم قام فصلى
الظهر فقلت ما هذا فقال أنا شافعي مذهبنا نصلي الجمعة ثم نصلي الظهر
فقلت لعل ذلك في مصر لتعدد الجمع على غير شرط التعدد وهاهنا ليس إلا
جمعة واحدة فاستفاق فليت شعري لم لم يصلوا الجمعة في مكة أربع مرات
كسائر الصلوات نظراً إلى أساليبهم المخترعة ؟ ولعل ذلك يكون بعد أن
تمادى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فتساهلوا في هذا الأمر الواضح
وحافظوا على ما ليس كذلك كاشتراط إمام عادل كزعم بعضهم أعني
السلطان أو اشتراطه ولو جائراً أو اشتراط أربعين أو مصر جامع أو نحو
ذلك مما اتفق وقوعه في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من دون دليل
على الاشتراط وهذه أمور مطولة في التفروع والمقصود أن الخلاف هو
الذي عطل الجمعة ولم يكن ذلك في عصر الصحابة رضي الله عنهم ولقد
صلوا خلف الحجاج ولله در عثمان رضي الله عنه وأرضاه وقد قيل له
أنت إمامنا ويصلي للناس اليوم امام بدعة؟ يعني إمام حصره فقال رضي

(المترجم ١٣٩٩ م) من مناسد الخلاف ترك الجمعة والجماعة ٦٧٩

الله عنه خيار أعمالهم الصلاة ان لم يقتدوا بهم فيها فهم يقتدون؟ أو كما قال رضي الله عنه

ولقد ظلت الزيدية حتى حرموا حضور صلاة الجمعة في بلد السلطان الذي ليس على شرطهم وقالوا لا تصح الصلاة ويميد الظاهر بل قال قائلهم ويشترط وضوء الخطيب للمعصية لأن بعض المامبي عندهم ينقض الوضوء وما شئت من غلو وكذا اشتراط الاربيين عند الشافعية وتراهم في البلدان الصغار يمدون الجماعة كما يمد الفهم شيء لم يؤنس في السلف ولا متشبهت الا آثار ضعيفة وترك الجماعة لذلك في غير المجامع الكبار ولم يكن شيء مما تشبهوا به يصلح لتخصيص كتاب الله تعالى وأعجب منه اشتراط المسجد مطلقا أو المستف كقول المالكية وسائر شرائطها بما ينبئك ويلزمك ان كنت ذا همة أن لا تبدل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

ومما يصلح مقصدا للمتمكن أن يجمع ما وضع أنه بدعة في الفروع في كل فرقة فينبغي من ذلك التصنيف الكثير وما باب من أبواب الفقه الا قد تمصبوا فيه أو لم تمصبوا لكن بنوا على أصل منهار ثم فروا فروما وطال الدليل الى أن تصير تلك الفروع سيما الأبعد الانزل في عداد الأجنبية ثم لم يلتفتوا الى النظر في الاصل المبني عليه فانه لو كان صحيحا لما أدى الى الامور المستشعة لكن يصمون الى أن يخرج أحدهم عن الجماعة ويخرج خصه في الباب الآخر تحقيقا لشر الخلاف واظهارا

لعظم المفاسد فيما نهى الله سبحانه عنه ويراها مسألة فرعية سهلة ويقولون الجليل مسائل الاجتهاد أمرها حين انما الشأن في العقائد وهذا من اصطلاحاتهم

٦٨٠ مكان مسألة الكلام النفسي من الدين (المارچ ٩٣ م)

وربما تكون تلك العقيدة التي رفعوا شأنها ليست من الدين لا إثباتا ولا نفيًا ولا يظهر لها منسدة وتلك الفرعية السهلة قد صارت منسدة من أعظم المناسد وهاك مثالا من ذلك

فما استعظموه من العقائد أن الانسان اذا أراد أن يكلم زيدا وجد لنفسه حالة لم يكن قبل ارادة التكلم ولا بعدها وهذا القدر متفق عليه فقالت الاشاعرة هذه حالة مستقلة فينا وهي في الباري صفة مستقلة كذلك ونسبها الكلام ثم نبر عنها بالالفاظ وقالت المعتزلة الذي يجده الانسان انما يرجع الى علمه بمعنى ما سيكلم به زيدا وترتيب اللفظ الدال عليه مع علمه بالقدرة على ذلك وارادة التكلم فليس ما مجده بصفة مستقلة ومدلول كلم وتكلم في اللغة فعل الكلام والتكلم وهو اللفظ فقط واطلاقه على ما في النفس مجاز فقط كسائر الملكات فلا صفة للبارئ تعالى نفسية تسمى كلاما انما كلامه فعله فمضى تكلم خالق الكلام في جسم من الاجسام وانما قالوا في جسم لان الكلام عرض لا بد له من محل والبارئ تعالى ليس محلا للاعراض فتعين اشتراط المحل عندم والكلام على هذه الصفة في الباري تعالى وغيره من فضول الكلام ومعنى تكلم في اللغة معروف فلنقتصر عليه لا سيما في حق الباري تعالى ونقول تكلم حقيقة لغوية ولم يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غير هذا فانظر هذا الذي طبق الاقطار هل هو من الدين في شيء ان كنت ممن جملة الله أهلا لذلك

باب المقالات

الفسق العلني والدستور (*)

حدثنا غير واحد من الفضلاء الذين جاؤا العاصمة من طرابلس الشام ان بعض سياسة الفسق جاءها بثلة من القساء الروميات العاهرات اللواتي يتجرن باعراضهن قاتشان يرقصن كل ليلة في بعض الملاهي وهن في هيئة منكرة من التبذل والتبرج والتهتك تفري من رآها بالفسق ثم يمدن الى منازلهن وقد جذب اليهن من جذب من الفساق يختلفون اليهن جهرا فيبدلون لمن أموالهم وصحتهم وشرفهم ودينهم ويخرجون حاملين منهن جرائم داء الزهري (الحب الافريقي) وسمه القتل المدي فيلقونه في بيوتهم وبيوت من يواكلونهم ويشاربونهم حتى ان الدكتور ماويا أحد أطباء البلد المشهورين قال لبعض محدثينا انه عرض عليه كثيرون من المصابين بهذا الداء بعد استقرار هؤلاء العاهرات في طرابلس وكان ذلك نادر الوقوع فيها فكم يكون عدد الذين عرضوا على غيره وعدد الذين لم يعرضوا على الأطباء لجهلهم وإهمالهم

واخبرنا أولئك المخبرون ان علماء طرابلس وأهل الدين والشرف فيها خرجت صدورهم واضطربت قلوبهم وضاعت عليهم نفوسهم وشكوا الامر الى حكومتهم فلم تشكهم ولا اجابتهم الى ازالة المنكر اقيح الذي لم تعود بلدتهم، وظن الجماهير من الناس ان المجاهرة بالفسق من لوازم الحكومة الدستورية فهو بلاء واقم ماله

(*) نقرأ هذه المقالة والتي تليها بجريرة الحضارة

من دافع لان رجال الدستور هم الذين يحمونه ، واطلعتني أحد هؤلاء على كتاب جاءه من صديق له وكلاهما من مستخدمي الحكومة وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقول فيه ان عدد الارتجاعيين يكاد ينمو ويزداد في طرابلس وقاها الله وسائر البلاد من شر الارتجاع وأهله، وسنين لم بالبرهان خطأهم في سوء ظنهم هذا بالدستور ورجالها ان طرابلس الشام قد امتازت منذ القرون الماضية والايام الخالية بمزايا قلما توجد بلدة في الدنيا تفوقها أو تضارعها فيها وهي المحافظة على شعار الدين وآدابه الاجتماعية ، والخلو من مواخير الفسق ولوسرية ، وحانات السكر الطنية ، وبيوت القمار الخصوصية، ولا اذ كراتي رأيت في السنين التي عشتها فيها أحدا من السكارى الارجلين أحدهما زنجي كبير السن كان يجول في حارة النصارى فيتجمع عليه الصبيان يعبثون به ويسفرون منه ، وقد اعتاد السكر من خدمته لبعض النصارى في أيام شبابه ، والثاني شاب من أولاد الصنائع كان يشرب مرارا وربما خرج متروحا غملا فكان لاقتال عتاق الناظرين المتمججين ، ومحركا لالسة المحرقين المسترجعين ، وأذكر ان مدرعة فرنسية وقفت في ميناء طرابلس فخرج بعض ضباطها الى البلد فجعل يجول فيها فطلب من الترجان أن يذهب به الى ماخورد النساء أو يأتيه بامرأة يتمتع بها فلما سمع أهل السوق هذا هموا بالضابط فأنذروهم بعض الاذكياء منبة الامر وامرغ باعلام الحكومة فأوسلت اليه من رجال الشحنة والشرطة من حافظ عليه الى أن عاد الى البحر بعد ما أفهمه الترجان أن هذه البلدة ليس فيها نساء للفسق

ان بلدة هذا وصفها وقد كانت ولا تزال من أكثر البلاد اشتغالا بالعلم الديني بالنسبة الى عدد السكان جديرة بأن تضيق ذرعا بالفسق الطني يفاجئها شر مفاجأة وقد كان لحكومتها سلطان من الدستور على منع هذا المنكر الخالف لأداب القوم العمومية ولكن متصرفها السابق كان جاهلا خاملا بليدا وأما المتصرف اللاحق فلم يلفتا أنهم شكوا اليه ذلك ولعلمهم لم يأسوا من الحكومة ولعل المتصرف الجديد لا يقصر في تلافي هذا الامر الامر ، وإزالة هذا العمل النكر ، وهو قد رأى بعينه، وسمم بأذنيه ، وعمل يديه ورجليه ، في منع ما هو دونه من المنكرات في العاصمة كنع تبرج النساء واختلاطهن بالرجال في مثل يوم عيد الدستور ومنع الصبيان من

(المنازع ٩ م ١٣) الحكومة الدستورية - محافظتها على الآداب الدينية ٦٨٣

الحجرات . كل ذلك عناية من الحكومة الدستورية العليا بالآداب الإسلامية ، ولا يتوهم أن الأمر قد استقر فهو يدوم بحركة الاستمرار ، وأنه يقتصر في الدوام ما لا يقتصر في الابتداء ، فالأمر لا يزال في أوله ولا تزال أخطاره محصورة في دائرة ضيقة ، فيجب أن يرقع قبل اتساعه ، وتداوى العلة قبل إعضالها

قد استنظم هذا المنكر أهل العلم والدين والغيرة على العرض — وهم السواد الأعظم في طرابلس الشام — واكثرهم لا يعرف من شره الا انه عمل محرم في الشرع فإذا يقولون وماذا يعملون اذا علموا بما وراءه من الشرور والرزاييا في تلك الاعراض واغتيايل الاموال وفشو الامراض وفساد داخلية البيوت وهو ما سنشرحه في مقالة أخرى ؟؟

يجب على أهل العلم والدين أن يعيدوا الكرة بمطالبة الحكومة المحلية بمنع هذا المنكر من بلدهم المخالف لآدابهم العمومية التي نص القانون على وجوب احترامها وذلك يكون في كل مكان بحسبه ، وجمهور أهل العلم والدين والمروءة هم المحكون في عرف بلدهم وآدابه ، ولانه هناك لحرمة الدين الذي كفل القانون الاسامي حفظه واحترامه بل لم يقبل الا لبنائه على أساسه ، واقتباسه من نبراسه ، فان لم تبادر الحكومة المحلية الى اجابة طلبهم فليرفعوا الامر الى حكومة العاصمة ولو بلسان البرق

لا تصدقوا وسوسة شيطان الارتمجاع بتفضيل تلك الحكومة الاستبدادية البائدة على الحكومة الدستورية الدائمة ان شاء الله تعالى في حفظ الشرع وآداب الدين ، فانا قد رأينا من هذه الحكومة اكثر مما كنا نتوقع من اتقاء ما يخذش الشعور الديني ، ولم يكن أحد يستطيع أن يحتج بالدين على شيء في العصر الجيادي المظلم فاعلموا الآن انكم أقدر على حفظ دينكم وعرضكم اذا عرقتكم كيف تحفظونه لحكومة الدستور هي حكومة الامة وحكومة الاستبداد هي حكومة رجل واحد لا قيمة فيها للامة ولا لدينها ولا لعرضا ولا لشرفها .

ألم يبايكم أن أهل البصرة أرادوا أن ينصبوا تمثالا لابني الدستور (مدحت باشا) فمنعهم الحكومة العليا من ذلك لانه مخالف للشرع الاسلامي ، ألم تعلموا أن مجلس

الوكلاء قد منع انتشار كتاب تحرير المرأة اذ طبع مترجما بالتركية لئلا يكون سببا لكثرة الخوض في مسألة رفع الحجاب عن النساء، حتى عد بعض الناس الحكومة مغالية في ذلك، أقروا أن هذه الحكومة ترضى بأن يثلم أولئك الروميات الفواجر شر فكم ويهتكن آدابكم الدينية والقومية ويسلبن أموالكم - في زمن يقاطع الصانيون فيه تجارة اليونان المباحة - ويفسدن امر الصحة العمومية، ويزدن في اسباب التمدي والجنايات؟؟
حاش للحكومة ان ترضى بذلك اذا كنتم أنتم تكرهونه وتعتونه ، فاطلبوا المقاصد بأسبابها ، واهتوا البيوت من ابوابها ، واهتوا الله لعلكم تفلحون

مضار البغاء ومفاسده

لأننا مضار ومفاسد كثيرة في الصحة والأخلاق والروابط الزوجية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والانتاج لاجلها كان محرما في الأديان فان الله تعالى لم يحرم على الناس شيئا إغناقا للناس ولا مناعا لهم من التمتع بالذات التي لا ضرر فيها وانما حرم عليهم كل ما هو ضار وأباح لهم كل ما هو نافع وما كان فيه فم ضر فالترجيح في الشريعة لما فيه دفع المفسدة وحفظ المصلحة والمنفعة جار على الطرق المواقفة لنظام الفطرة وقوانين المنطق المعقولة ، واشد الزنا ضرراً وأكثر مفاسد البغاء المستباح الذي يتخذ هذه العواهر حرقة تكون معروفة في البلد فكل من شاء ذلك يسر له متى شاء مادام يملك أجرة البغي

هذا الضرب من الفسق هو الذي يسرع افساد الصحة والآداب وتقليل النسل وإيقاع الشقاق في البيوت حتى تصل الى درجة يستباح فيها أكثر الاعراض وتفسد القيادة والديانة حتى لا يوثق بفصل أحد الا اتادر من الناس واكثر الشبان الجاهلين لا يعرفون من أمر هذه المفاسد شيئا فيقضي الفسق على حياتهم الجسدية والادبية والمترية من أول النشأة ولا يعرفون من أين جاءهم البلاء بل لا يدرون به الا بعد وصوله الى حد اليأس ولا سيما في البلاد الصغيرة (كطرابلس الشام التي سرى إليها هذا البغاء الآن) التي ليس فيها مستشفيات تداوى فيها الامراض

(المار ج ٩ م ١٣) البغاء - ضرره في الاعضاء والانسرة والنسل ٦٨٥

والادواء التي تتولد من الزنا كالزهري والسيلان ، ويعتبر بما يرى فيها من العبر من كان لا يعرف ذلك من الشبان

أول رزايا البغاء وأسرعها حصولا انتشار المرض الزهري القاتل ويا ليت هؤلاء الشبان المساكين يعرفون شيئا من عواقب الزهري وما ينتهي اليه . ليتهم يدخلون المستشفى في مثل الاستانة ومصر فيشاهدون بأعينهم بعض المصابين بهذا الداء ومنهم الذي فقد بصره وسمعته ومنهم من سقطت أسنانه وتآكل لسانه . ومنهم من استوصلت منه أعضاء التناسل ، وأهونهم حالا من كان قريب عهد بالمرض وقد انتشرت البثور على جسده ولم تصل سمومها الى أعضائه الرئيسة ، ويألها من مناظر تشخص لها الابصار وترجف لحولها القلوب

يا ليت هذا الداء الخبيث لم يكن مطايا اذا كان يكون وباله على أولئك الفساق وحدهم وهم له مستحقون ، ولكنه من الادواء التي تسري بفروب من العدوى لا يعرف طرق التوقي منها الا من لم يلهم إلهام بعلم الصحة وهم في بلادنا قليلون ، فيحسرة على أهل بيت يعزى الشيطان أحدهم فيقوده الى تلك المواقير النجسة فيعود حاملا الى أهله الأبرياء المساكين ذلك السم القاتل فيلحق به امرأته وأولاده وأخوته وأخواته وربما أصاب به والديه فانه قد ينتقل بفضل الطعام وسوثر الشراب وبالتقييل والمس اذا كان هناك جرح أصابه ذلك السم ولو جرح الخلال في اللثة ومن رزايا هذه الفاحشة ومصائبها أن من افتتن بها يصير يوتر الحرام على الحلال فان كان أعزب تضعف داعية الزواج الشرعي في نفسه ولذلك يقل الزواج في جميع البلاد التي ينشرف فيها الزنا ومضار ذلك كثيرة منها قلة النسل ومنها كثرة الابامى من النساء وذلك مدعاة لخروجهن من حظيرة العفة والصيانة حتى ان العوانس من العذارى الأكار يلجأن أحيانا بلمس الخدان في البيوت السرية ، فكيف يكون حال الارامل ؟ وان كان متزوجا بهجر امرأته ولو جميلة ويأوي الى بغي دونها جمالا وفناء وان شاركه فيها من لا يحصى من اسافل الناس وبذلك تضعف غيبرته على المرض ويضيق ذرع امرأته ويخونها الاصطبار فتنتقم منه والجزاء من جنس العمل

٦٨٦ البقاء - افساد لمة النساء واتقاده الفيرة على الاعراض (المنازع ١٣٩٩)

يتروم بعض المخورين بأنفسهم انه يسهل عليهم الجمع بين التهلك في الفسق وبين صيانة نساءهم عنه وان قل نصيبهم منهم ، وانما ذلك هو الجهل والغباء وعدم الخبرة والتجربة فما ذكرناه من افساد تهتك الرجال في الفسق الى افساد نساءهم هو من القضايا المعقولة الثابتة بالتجربة المؤيدة بحديث « عفا تعف نساؤكم » فان استبعدته عقولهم الضعيفة فليعلموا أن المشاهدة والتجربة أقوى حجة من نظريات الفلاسفة الحكماء . أفلا تكون أقوى من نظريات الجهلة الاغبياء ولو كانت النظريات المتبادرة الى الرأي أقوى من علم المختبر للشيء ، والناسم به من المشاهدة أو خبر التواتر عن المشاهدين والمجربين لكان من المردود بادى الرأي ادعاء رغبة الفاسق عن زوجته الجميلة الطاهرة المقصورة عليه الى عاهرة دونها في كل شيء ، ولكنه واقع ومن أغرب وقائمه ان امرأة في مصر بحثت عن سبب هجر زوجها لمضجها زمنا طويلا فعلمت انه يأوي الى بعض مواخير الفسق الخفية فذهبت الى قوادع الماخور واعطتها صورتها ورغبت اليها أن تعرضها مع الصور اللواتي عندها على فلان (الذي هو زوجها) فلما عرضت الصورة عليه جذب بصره حسن صورة امرأته ولم يفتن لها لانه لم يخطر في باله أن تعرف ذلك المكان او تميل الى الفاحشة مثله وكانت اجمل من جميع النساء اللواتي يختلن اليه فلما طلبها من القوادة طلبت منه مالا كثيرا فوق ما كانت تطلبه عادة فبذله وبغدا أن اجتمع بامرأته وهو لا يعرفها وأظهر لها أنه كان أسعد الناس بلقاءها وانه ماسر في حياته بامرأة كسروره بها تعرفت اليه ووبخته وقالت له كيف تكون اسعد الناس بقربي في الحرام مع الخسارة وبذل المال لهذه القوادة الملعونة ولا تكون أسعد الناس في الحلال مع حفظ المال ...

الا فليعلم أهل طرابلس الشام ومن على شا كلتهم - من المتعرضين لانشاء البغاء في بلادهم - أنهم اذا لم يتداركوا هذا الامر قبل ثباته واستقراره فان أعراضهم على خطر وان ما عندهم من الفيرة والحماة الآن سيكون في أول العهد بهذا البلاء سببا لسفك الدماء ثم تصف الفيرة رويدا رويدا حتى تكثر القيادة والديانة كما في جميع البلاد التي فشا فيها البغاء والبشر متشابهون في الاستعداد لذلك والعمل مربوطة بملاذمتها والاسباب موصولة بمسبباتها

(المنازع ٩م ١٣) البقاء - يسبب سفك الدماء ويذهب بالمال ٦٨٧

إن الفيرة على الاعراض في مثل طرابلس الشام شديدة عند جميع طبقات الناس حتى ان أجهل الجاهلين وافسقم ليندفع الي قتل من يعلم انه اعتدى على عرض اية امرأة من عشيرته بلا مبالاة ولا حذر من العاقبة فاذا استقر أمر هؤلاء المومسات اللواتي فتحن باب البقاء في هذه البلدة وترتب على ذلك أثره الطبيعي من فساد البيوت وابتذال الاعراض فلا بد أن يكثر سفك الدماء فيها ، فهل تفكر العلماء والفضلاء وأهل الفيرة والنجدة في هذه العراق ولم يبالوا بها أم هم عنها غافلون ؟؟

يطلب على قلبي أنه لو جمع بعض العقلاء قتيان البلد الشجعان (الابضيات) وبين لم أن هذه الفتنة ستكون سبباً لتفك الاعراض وسفك الدماء وفساد الصحة واضاعة الاموال لسبقوا العلماء الى السعي في منعها وتلافي شرها قبل تمكنها ورسوخه إنما أخرت الاشارة الى ذهاب المال لانه في نظر أهل وطننا دون العرض والنفس ولكنهم اذا اعتادوا هتك العرض يرجعون المال فان البلاد التي فشا فيها الزنا كلها قد كثرت فيها القيادة والديانة لاجل المال حتى ان الرجل ليتجر بهرض امرأته وبناته وهذا مما يعده أكثر بلادنا من المحال الذي لا يتصور وقوعه منهم لظنهم أن شدة الفيرة صفة من صفاتهم الطبيعية التي لا تتغير وكان غيرهم يظنون هذا الظن الباطل ولم يشعروا ببطالانه الا بعد موت الفيرة بفشو الفسق على ان المال عزيز عند كل الناس في كل مكان وزمان والحفاظة على الثروة هي اساس قوة الامم وعزتها في هذا العصر . ولست أعني باضاعة الفسق للثروة وذهابه بالاموال ما يتبادر الى اذهان الا كثيرين الذين أوجه اليهم هذا الخطاب من الشفقة على الشاب الفقير الذي يضيع معظم كسبه بجعله من نصيب هؤلاء المومسات وانما أعني ما هو أعظم من الشفقة على هؤلاء الظالمين لانفسهم أعني أن هذا البقاء يذهب بحظ عظيم من مال الامة الى جيوب الاجانب الذين أذلوها ويزوا دولتها باستغلالهم عليها بالثروة فان معظم المومسات في الشرق من اليونانيات والرومانيات والنمساويات والفرنسيات الخ وهن يرسلن معظم ما يسلبنه من فسادنا الى بلادهن فيكون تقصا من رؤيتنا ومزيدا في ثروة اممهن ودولهن ولولا ما يأخذه اليونانيون واليونانيات من مصر وغيرها من البلاد الخارجية لاضطحت دولتهم وضعفت أممهم بالفقر المدقع

٦٨٨ البقاء - مفاسده في البلاد الاسلامية (المارچ ٩ م ١٣)

ان مفاسد البقاء في بلاد اسلامية صغيرة مثل طرابلس الشام ستكون أعظم وأكثر من مفسده في البلاد التي آدابها غير اسلامية وفي البلاد الاسلامية الكبيرة التي يسهل فيها اخفاء الفسق قبل أن يخف وقعه على الجمهور بالاعتقاد الذي يصف الدين ويفسد الفطرة ، فلا يمكن بيان تلك المفاسد بالتفصيل في مقالة أو مقالات قليلة واني لا عجب من سكوت حملة الاقلام في طرابلس عن ذلك وعن حزن الهم لمقاومته وحشها على تلافيه كما اعجب من ضعف العلماء والفضلاء في المطالبة بمنع هذا المنكر هذا واتي قد بلغت خبر ماجل بطرابلس مولانا شيخ الاسلام وهو الذي عرفت منه النجدة والغبرة فاذا شكوا أهل هذه البلدة الى الحكومة الادارية ولم تشكهم فليرفعوا الامر اليه وأنا الضمين لم بأنه يأخذ يدهم ولله عهد الى نظارة الداخلية بوجوب الاهتمام بسماع شكوى الاهالي في مثل منع هذه المنكرات فيجب على أهل طرابلس ان يكونوا قدوة صالحة لغيرهم في الخير ولا يكونوا قدوة سيئة لم بالسكوت على مثل هذا المنكر الذي سيجعل بهم مثلهم والله الموفق والمعين

حجاب المرأة في الاسلام*)

تباينت آراء الناس في مسألة الحجاب في هذه الايام . وكثرت فيها مناقشات الكتاب . فمنهم من ضل الطريق . ومنهم من هدى الى سواء السبيل . ولما كانت هذه المسألة من أكبر مسائلنا الاجتماعية الحاضرة . رأيت أن افوض القول فيها واعحصها جميعا ينلج به الحق . وينتشم به الباطل . مؤيدا قولي بالحجة العقلية والبرهان ومعزا له بحديث الرسول (ص) وأي القرآن الحكيم فأقول : —

الحجاب عادة قديمة موجودة قبل الاسلام وبعده وعند أم لم تعرف من هذا الدين الكريم شيئا فلم يكن الاسلام موجد ولا موئده . وهو الآن عند المسلمين يكاد يكون قاصرا على نساء الطبقة الوسطى والعالية وقد خرج في هذه الايام الاخيرة عن معناه الحقيقي وأصبح ضربا من ضروب الزينة والتبرج تظهر به النساء كاسيات عاريات . مظهرات لحاسنهن . مخفيات لسيوهن . فمن يخضعن به الرجال . ويفرون الناظرين بتلك المظاهر المروقة الكاذبة التي لولاها ما بالى أحد بالنظر الى نساء اعشارهن . ولا وجه يفتون عنه اليهن . ولا أعلم أن أحدا من العقلاء يستحسن هذا الحجاب الكاذب أو يقتصر له . ولا اظن ان خيرة الرجال تثتم مه . أو تثتم به . فليس الخلاف بين العقلاء في أمر هذا الحجاب الحالي وإنما خلافهم في الحجاب الحقيقي وهو ستر المرأة وجها وكفيها عن الاجانب عنها فيقول قوم انه نافع وعفيد وان الدين يأمر به . ويقول آخرون انه ضار لا فائدة فيه وان الدين بريء منه . وكلا الفريقين يؤيد رأيه بالأدلة . والحق يقال ان دلائل الفريق الاول مفسدة باطلة . ودلائل الفريق الثاني يقينية قاطمة ولولا خوف التطويل لسردنا دلائل الاولين . وادحضناها بالبرهان المبين . ولكننا نكتفي

(*) بقلم الدكتور محمد الندي توفيق سدي

(المآرج ٩ م ١٣)

الحجاب - مضاره

٦٩٠

بذكر دلائل الآخربن . فانها هي الحق اليقين . وليس بعد الحق الا الضلال المبين .
أما مضار الحجاب فهي كثيرة متنوعة تأتي هنا على بعضها : —

أولا - ان الحجاب يحول دون انتخاب الرجال لأزواجهم فيجعل الزواج تابعا
لصدقة والاتفاق بدلا من الاختيار والانتخاب . فمن أسعده حظه صادفته امرأة
حسنة توافق مشربه وهواه . ومن أشقاه وقع في قبيحة شوها . لا يمكنه أن يقيم
معا الأعلى البغضاء والشحناء . فيكثر بينهما الشقاق . المؤدي الى الطلاق . أو تعدد
الزوجات . ولا يخفى ما يجره علينا ذلك من المصائب الاجتماعية والاخلاقية
والدينية . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لاحد الانصار وكان قد خطب امرأة
(أنظرت اليها) قال لا قال - (أنظر اليها فانه أخرى أن يؤدم بينكما) والنظر الى النساء
لأجل الزواج لا يتفق بحال من الاحوال مع الحجاب فاننا اذا كشفناه عنهن لمن
يريد الزواج لرضاهن للخجل والاستحياء والسخرية والازدراء ولا تصبحن كالسلم
في الاسواق تتناولهن أعين المشتريين . وهو أمر تنفر منه الطباع السليمة .
وتأباه المروءة . ولا يتفق مع كرامة المرأة في شيء فتقع في حضيض الذل والامانة
وتعرض لهزؤ المازئين . وسخرية الساخرين العابثين بالاعراض ولعب الشبان
الفاسقين . ولا دواء لهذه الامراض سوى سفور النساء للرجال في جميع الاحوال
واخذ ذلك عادة لمن خفي أمثال تلك المعائب والمضار التي تنشأ للمزوجين
والمزوجات من الحجاب . ولا يخفى ان اصلاح مسألة الزواج عليها اصلاح البيوت
واصلاح الامة بأسرها

ثانيا - ان الحجاب يكثر من حوادث التزوير في سائر العقود كما لا يخفى
وهو عتبة كؤود في سبيل صحتها وفي الشهادة والمحكمة . فكم من امرأة
سلبت أموالها بسبب الحجاب ؟ وكم من فتاة عقد عليها بدون اذنها وكان المتكلم
غيرها من وراء ستار ؟ وكم من نساء رمين بالافك والبهتان من غير علمهن وهن
محصنات غافلات ؟ وكم من شاهدة زورا تخفي خجلها أمام أعين القضاة بالبرقع
والنقاب وتفتري الكذب ولا يعلم من أمرها شيء ؟ الى غير ذلك من الرزايا
والمصائب التي جررها علينا الحجاب واني والله لأعجب غاية العجب كيف يصح

القد على فتاة لم ترها ولم ترك - وربما اذا نظر أحداً للآخر اشماز منه وقر -
فكيف بعد ذلك يمكننا أن نقول ان الرضى حصل بين الطرفين مع انه رضى باللسان
فقط وكل منهما يوجس خيفة من منظر الآخر على أن الرضى اللساني أيضا في
كثير من الاحوال لا يحصل من جانب القتيات ويكون صادرا من احدي قريباتهن
كما هو معروف

ثالثا - ان الحجاب يفسد صحة النساء ويمنعن من الرياضة البدنية - ومن
استنشاق الاهوية النقية في الاماكن الصحية - ففسد بنيتهم - وتكثر أمراضهن -
وتقتل صحتهم - ويلدن المولودين والمطلولات -

رابعا - ان الحجاب لاشك أنه أكبر مانع لاعلام التربية والتعليم والتدريب
وعائق لتثقيف عقل المرأة وتوسيعه وتكبيره بالتجربة وممارسة الاعمال ومخاطبة الرجال
في بعض الاحيان في اجتماعاتهم الصالحة كالتى تحصل في المساجد للصلاة والتعليم
الدين - ومانع لها من مشاهدة المناظر الطبيعية - وبدائع الاختراعات الصناعية -
فيبقى عقلها ضيقا - وذهنها قارعا - ومخبرها خاويا - فلا تثبت في أذهان بناتها وبناتها
سرى الاضاليل والترهات - والخرافات والخرعجات - ففسد عقولهم وآدابهم وأخلاقيهم -
ولا يخفى ان التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ولذلك يصرف الواحد منا وقتا
طويلا وتعبا كبيرا لتطهير عقله مما زرعه فيه أمه القلية الجاهلة منذ طفولته ونشأته -
ومن كان في شك مما أقول فما عليه الا أن يقارن بين عقول نساء الافرنج وأبنائهم
وبين عقول نساينا وأبنائنا ليتضح له صحة ما أقول - وقد علمت بالاختبار أن جمهور
البنات اللاتي يأخذن الشهادات من مدارسنا لا يمتاز عقولهن بعد الحجاب عن
البنات الجامعات الا شيئا يسيرا فان مدارك أكثرهن تجدها قاصرة ضيقة منفعة
بالباطل والترهات والالهام والخرافات مصحبة بما تعلمنه من القشور الفارقات

خامسا - ان الحجاب يمنع القتيات أو غير المتزوجات من الحصول على
أقواتهن الابشقى الانفس ويضيق عليهن أنفاسهن ويسر عليهن الاعمال أو الاشتغال
بأي عمل - يكتسبن منه رزقهن من نحو خدمة أو صناعة أو زراعة أو تجارة ولا يخفى
ما يجلبه البرقع على التجارات مثلا (والتجارة أخف شيء يمكن عملهن به) من الضيق والحرج

والعرق والاضرار بالصحة وعسر الحركة . والله تعالى يقول (ماجل عليكم في الدين من حرج)

سادسا - ان الحجاب كثيرا ما يحرم الرجل لذة الخروج مع زوجته وأولاده واصطحابهم في رياضاته وأوقات فراغه ويمنعهم من مشاركته في أنسه ولذاته . وهي أمور ضج منها المجرمون قنشا عن ذلك كثرة هجران الرجل لزوجته وأولاده وعدم اجتماعهم بهم الا وقت نومهم وهو يقضي معظم وقته في الاماكن العمومية (كالمقاهات) بين الميسر والخمر والفسق والسعي في اصطیاد الفواني مع أنه لو خرج مع زوجته لتمتع كل منهما بالآخر وتال كل منهما حظه من نذة الحياة والاعتداس برفيقه ومشاهدة المناظر الطبيعية والصناعية واكتفى كل منهما بالآخر واستفاد من حديثه وامتنع الرجل من النظر لغير امرأته وامتنعت هي من النظر الى غير زوجها لحياء الواحد منهما من الآخر وخشيته ومراقبته لوجوده معه . ولا يخفى على أحد فوائد ذلك من الوجهة الادبية والاجتماعية وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج مع بعض نساؤه الى الاماكن الخلوية لاستنشاق الهواء النقي ولما بهتتهن جريا والمزاح معهن باقول الحسن سابحا - ان البرقع أو القاب المستعملان الآن مما يشوق النفوس لرؤية ما تحته فان ألد شيء الى الانسان ما منع عنه فهو يحمل أهل الفسق والفجور على التعرض للنساء في الطريق ومنازلهم والسعي في كشف ستر من كما هو حاصل الآن بكثرة فان أنواع البراقع تظهر عادة الامين والحواجب وهي في أغلب النساء جميلة فيضتر الناظر ويظن أن باقي الوجه جميل مع أنه قد يكون منزرا اذا كشف جميعه . ولذلك قيل في أمثلة العامة (ان البرقع غشاش او قد سمعت من بعض الشبان الفاسقين أن أحدهم يسعى وراء المرأة المتبرقة زمنا طويلا وبصرف مالا كثيرا في الحصول عليها وتعبا كبيرا حتى اذا نجح معها وقادها الى احدى دور الفسق وكشفت عن وجهها ففر منها وندم على ما فعل وحاول أن يخلص منها بكل وسيلة ولولا الحجاب ما عثر هذا الفروور بكل واحدة ولذلك تكثر مداعبة النساء المتبرعات في الطرق من الرجال وتقل مداعبة السافرات لان الجمال الحقيقي قليل جدا والقاب يزين جميع النساء للرجال ويوهمهم أنهم كلهم جميلات فهو كالشيطان يغري الانسان ويحمله على الفسق والفجور . هذا

وان نعود الرءال لرؤية ءمال النساء يقلل من الأأرببن والأفتان بءسنهن والأناسن المنعود مل ذلك بملك نفسه أأر ممن لم نعود وانظلامة أن الءاب منب الرءائل والسفور أصل الفضائل ولا شك أن الءاب هو السبب الوءفء فف أأر ما وقنا فف من المصائب والرزاوا والبلافا . ولا أعلم له من قائءة واحدة سوى ءبرة الرءال الكاذبة من رؤية ءبرهم لوجه نساءهم مع أن الرؤية لا ضرر ففها ولا ضرار . والقول بأن الءاب الءقبنف يقلل من الزنا اذا سلم فهو مءفوع بأن الزنا بمكن قلله بوسائل أخرى كالفف أنف بها الءفن الاسلامف المنفب (وسبأنف فافها) من ءبر أن فكون لها من المضار ما للءاب مما سبق فافه وهف اذا اثبءت فاما فان الزنا فكأء ففما من الوجود وهءه الوسائل فنصر فف ثلاث مسائل وهف (١) الأرففة الءبنة (٢) واقامة الءفوء مع الأرففب فف الزواف وفسفره (٣) والافان بأءاب للءال والنساء وسبأنف ذكرها ففصفا ولافس من ففنا الءاب لان ضرره أأر من ففه وبمكن الاسءفاء عنه بأشاء أخرى ءبره . والفك الءفل : —

أءمع علماء المسلمين وأفأمهم على أن الوجه والكفن ففسا بءورة فف الصلاء وأن كسففها مف ءبر مبطل لما وعلى ذلك ءرف عملهم من عهد الرسول صلى الله فله وسلم الى الوم . وقال ابن ءررف فف فسفره (ان المرأة أن فبءف من بءفها ما لم فكن ءورة كما أن ذلك للءال لان ما لم فكن ءورة فسفر ءرام انظاره) . وءكى القافف عفاض عن العلماء انه لا ففب على المرأة سنر وءفها وكففا فف طر فقا وعلى الرءال ففص البصر عنها وقل ان ذلك اءامع المسلمين . وروف عن عائشة رضف الله عنها أن أسماء ففء ابف بكر ءفل على الفف صلى الله فله وسلم وطفا ففاب رقاق فأعرض عنها وقال (ففأسماء ان المرأة اذا بلفء الءفص لا ففلف أن فرف ففنا الا هذا وهذا) وأشار الى وءفه ونفبه ولذلك أففب للنساء المسلمين أن بءفرن صلاء الءامعة فف المساء وفرن مكشوفاف الوجهه فف زمن رسول الله وزمن أصحابه وأفابعهم . وأوجب الءفن الاسلامف على المرأة أن فكشف وءفها فف الءف مءة الا ءرام كلفا بففب ففطل ءفها اذا هف ءفلت وءفها والاءرام مءفه طوفا ففبف فف النساء مءططاف بالءال فف سائر مرافف الءف وفرن كاشفاف لوجهن . فلو كان فف ذلك مفسءة لما أوففه

٦٩٤ كتاب الخمسة والمئة وكتاب المهمة (المارچ ٩ م ١٣)

الاسلام وقرره . ولو قششت القرآن من أوله الى آخره والاحاديث الصحيحة لما وجدت فيها أمرا واحدا يوجب ستر المرأة وجهها وكفها بل بالعكس تجد أن القرآن يستثبها في قوله (ولا يدين زيتن الا ما ظهر منها) كعليه اجماع المفسرين . وقد عدل عن الأمر بتغطيتها الى تغطية غيرها في قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . الآية ولم يقل على وجوههن فلو كانت كلامهم صحيحا لقال هنا (وليضربن بخمرهن على وجوههن) ، أما استشهادهم على الحجاب بآية (واذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) فسيأتي بيان معناها على ان هذه الآية هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب وسترى أنها لا تهض بها لم حجة . ولم يرد في القرآن مطلقا ذكر للتبرقع والانتقاب أو ما في معناها ولو كانا واجبين لورد ذكرهما مرة واحدة بل مرارا كثيرة . واذا كانت نساء المسلمين في عصر التنزيل محتجة فما معنى قوله (ولا تمدن عينيك) وقوله (يفضوا من أبصارهم) وقوله (ولو أعجبك حسنهن) فكيف يعجبه حسنهن وهو لا يراهن ؟ وما فائدة عدم مد العين اليهن وغض النظر عنهن ومن محتجيات ؟ (البقية تأتي)

❖ كتاب الخمسة والمئة ، وكتاب المهمة في الاصول الخمسة ❖

الف حضرة العالم الفاضل السيد محمد طيب العلوي المكي مدرس درجة التكميل في مدرسة دار العلوم بلكنو « الهند » التي أنشأتها ندوة العلماء كاتين سمي أحدها « كتاب الخمسة والمئة » في نصر الفتة ، ويحتوي هذا الكتاب على خمسة ومئة من الادلة عدا المهدات والتنبيهات

والكتاب الآخر سماه « المهمة » في الاصول الخمسة ، جعله كالمدخل الى التوغل في علوم البلاغة وقد تقرر تدريسه في مدرسة دار العلوم المذكورة والكتابان لم يطبعاه بعد وقد بحث لادارة المنار بأنهم ذجين من الكتاتين المذكورين لينشرا في المنار

وما هما

(الناشر ج ٩ م ١٣) انموذجا كتابي : الخمسة والمئة ، والمهمة في الفنون الخمسة ٦٩٥

(انموذج من كتاب الخمسة والمئة)

الاول ان الله ارسل الرسل ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه وليجهدوهم على كلمة واحدة ويعلموهم كيف الطريق الى مرضاة الله وما هي الاسماء التي يرضاها الله لنفسه فيدعاهم بها فلو وكلوا بعد ارسال الرسل الى عقولهم لكان ارسال الرسل فضلا لان دليل العقل قد كان وكيف يرسل الرسل لرفع الخلاف ثم يحكم على ما يأتون به ما هو منشأ الخلاف وانما قلنا ان العقل هو منشأ الخلاف لثلاثة أوجه (الاول) ان الحاجة انما وقعت عند الاختلاف والاختلاف انما وقع بين العقلاء لاختلاف عقولهم فكانت عقولهم هي منشأ الخلاف (الثاني) ان العقل يختلف في ذاته قوة وضعفا وغفلة وتنبيه وباعتبار ما يقارنه من العوائد والمعارف واذا كانت العقول مختلفة اختلفت آراؤها ومتى اختلفت الآراء وقع التشاح والتعزب فكيف يقول من ارسل لرفع هذا الخلاف : ان كلامي ان خالف عقولكم فلا تقبلوه بل أولوه بحسب ما ترون فان هذا ليس رفعا للخلاف بل هو أمر واثم اذ لكل أحد ان يقول ان هذا الكلام لا يقبله عني لانه يخالف ما اوفى أو يخالف دليلي أو هذا الكلام قوي رأي فلان وهو خصمي (الثالث) ان العقول لو لم تكن مختلفة لم يحتاج الى حكم لان الناس انما يرجعون الى الحكماء عند الاختلاف فاذا ثبت ان العقول هي منبع الخلاف اتمتع ان تكون هي الحكم فالحكم ماسواها فاذا ثبت ان كلام الشارع هو الحكم فلا يؤول اذا خالف بعض ادلة العقول ولا سيما والرسل جاءت لتبين للناس ما لا تصل اليه عقولهم وليكفهم مؤونة البحث بعقولهم وليكفهم عن الخلاف فيما بينهم فلوردوهم الى عقولهم ليزادوا الطين بلة

قال : فهذا دليل واحد من الخمسة والمئة ليس باعلاها ولا أدناها، ثم قال :

(انموذج من كتاب المهمة في الفنون الخمسة)

«لو» يستعملها الناس في الاخبار عن سبب عدم الخبر الذي هو الجزء، يقول لو جئني لا كرمك يعني ان سبب عدم اكرامي هو عدم مجيئك وقد خبط الناس هنا مدة الى ان حقق ذلك العلامة التفتازاني في شرحية المطول والمختصر الا انه

جوز وقوع الشرطية في الكلام موافقا لاصطلاح المناطقة فان معنى الشرطية عندهم هو الاخبار بأن بين المقدم والتالي تصاحب فمعني ان جفتي اكرمك ليس الوعد بالا كرام بل هذه القضية كاذبة أو محتملة عندهم أي معناها لان الاحتمال من معناها «أن جاء زيد» مصاحب لا كرم زيد ومعني مصاحبتهما انهما مجتمعان على الصدق في الواقع والظاهر انهما لا يجتمعان وان احتملا الاجتماع فمعناها عندهم محتمل وعند أهل اللسان متعين حتى انه يقول ان فلانا وعدني ثم ان المصنف حقق معنى قوله تعالى «لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا» وبين انه لا يصح مجيء على اصطلاح المناطقة فان العرب لا تعرف ذلك بل ولا علمائها فان أبا هلال حين ذكر المذهب الكلامي نص على انه لا نظير له في كتاب الله ثم أيد ما قدره من ان المراد ليس في الآلهة المستقلة الذي يحزم به الناس فطرة ودليلكم هذا بأقذاركم لا يثبت به العلم فكيف يستدل على المعلوم بما لا يثبت به العلم بل المراد ان الله تعالى لو كان معه من يتداخل في امره لفسد نظم السموات والأرض وذلك لان الشفاعة لا تكون الا للدافعة عن أوجبت عليه القاعدة امر الايجبه وهذه المداخلات محنة بالاتظام قطعا ولهذا عقبها بقوله «لا يسأل عما يفعل» ثم بقوله «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»

﴿ تنبيه ﴾

﴿ كتاب الدارس في المدارس ﴾

هو كتاب خطي لم يطبع بعد والموجود منه نسخة واحدة قديمة عند حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار من علماء دمشق الاعلام وقد نقل عنه نسخة حضرة العالم المؤرخ رفيق بك العظيم وهو الكتاب الذي اتى عليه ذلك الدرس في دمشق وتراه منشورا بهذا الجزء من المئارج ص ٦٨١ وقد فاقنا هذا التنبيه عقب نشره

(الملتاوج ٩ م ١٣) ءوس على كتاب الءارس في المءاوس ٦٩٧

بناا الحففا الأا

ءرس على كتاب الءارس

﴿ في المءاوس ﴾^(١)

١

أبا الساءة

إن ءارفا كل أمة سوا كان مفا أو فر مفا لا ففلو مسفبه من اءافاف
بافبه لا من فف ءشابه فف طرفه بل من فف ءااف الفف ءرفب علفها فففة
الام أفاا وففر مفر الفاة الااماة بأن ءسرم بففل الشوب الى مراقف الصعود
مناها اءا كان مافف الأمة علفها مفرما فف ءارفا ففرص على أن فكون
أعظم افراما فف فاضرها أو على أن ءسرف ءلك الافرام اءا ففءف شفا منه
واءا كان ماففا شفا فر مفرم فف ءارفا ءءاب على ءفلفف منه وءفلب لففسها
فاضرا أسفد منه . فالففة واءة فف الفافف ولكن لفن ؟ ومن فءفصل على مثل
هءة الففة من الام ؟

ءفصل على أمة ءفم أن لها ءارفا ءءوسه وماففا ففءف فف وءرفم الى
لاسفا اءا كان ءارفا مفا له آفار مرفة فف الوجود وأفر مفرق فف الاام والامة

(١) الفف هءا الفاب المامة المورف رففق بك المظم فف ففلة فافلة فف مءفة ءمشق ارصف
رفها لجمفة البءاف الففة

(المءلء ءالف عفر)

(٨٨)

(الملتاوج ٩)

٦٩٨ دوس على كتاب المدارس في المدارس (المار ج ٩ م ١٣)

كالفرء فخره بالماضي الجميل اذا تمثل لما ففخ فيها من روجه فلأها نشاطا ودفها الى الامام اشواطا

وان أمة لا تعرف تاريخها فأحر بها أن يشكر لها الزمان وتذري بها الشعوب لجلها بماضيا وان تنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض

إن المآنة الاسلامية التي رفغ منارها أسلافنا الطاهرون وغيوت شكل الارض ومجرى الاجتماع كان لمدينكم هذه حظ وفير منها ولا سيما في التوفر على انشاء معاهد العلم ودور التربية والتأذيب

هذا أيها السادة ما دعائي لأن أقف بينكم خطبيا افتح صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق بأسلافكم القابرين ومدينكم الفحاء وفيها ذكرى للذاكرين ، وذكر قان الذكرى تنفع المؤمنين .

ان هذه الذكرى مآرونه في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الف وثلاث مئة وستين صحيفة وهر كتاب (الدارس في المدارس) تأليف المؤرخ العلامة الشيخ محمد بن محيي الدين النعماني وهو خاص بما أنشي من معاهد العلم والمساجد ودور العجرة (التكيا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مئتين وبضعا وعائين . لو وزعت المدارس منها على السنين منذ انشاء أول مدرسة في القرن الخامس أي سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة الى عهد الموءف في أوائل القرن العاشر لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة نقشا أو دار العجرة والمرضي تشاد هذا فضلا عما أنشي من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب ثلوا عليكم بعضا من أسماء المدارس التي جاءت فيه ولا أطيل خوفا من ضيق الوقت .

أما تواريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاقواف التي حبست على الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها أو نبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ان نعمة صاحب التأليف المشهورة وقاضي القضاة صدر الدين الأزدي صاحب الجامع الصغير وغيرهم من مشاهير العلماء ومن علماء

(التاريخ ٩ م ١٣) درس على كتاب الدارس في المدارس ٦٩٩

الطب مثل الرؤساء ابن أبي أصيبعة صاحب تاريخ الأطباء ومهذب الدين بن الحاجب
ونجم الدين البودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخوار وعماد الدين
الديسري وأضرابهم

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن أبي الحكم الباهلي
وعز الدين السويدي وأبي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيمارستان
النوري القائم الى اليوم من عمل يده وأضرابهم

وها نذا اقرأ لكم مثالا واحدا من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ
الدارس هذا في ترجمة أفضل الدين ابن أبي الحكم قلا عن الصفدي قال :

« محمد بن عبد الله بن المنظر بن عبد الله الباهلي » هو أفضل الدين أبو
المجد ابن أبي الحكم من الحكماء المشهورين كان طيبا حاذقا وله يد طولى في الهندسة
والنجوم (أي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل أرغنا
وبالغ في إتيانه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نور الدين بن الشهيد
ولما عمر البيمارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل أمر الطب فيه إليه الخ ما قال
هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الأفاضل الكبير منهم وعدد كثير
مشهور من أهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس أو تخرجوا على
رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن واجهم
منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في أكثر من مئة مجلد ، وتاريخ الحافظ
ابن عساكر في أكثر من عشرين مجلدا وهما موجودان اليوم في المكتبة العمومية
في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليهما ما ألفه علماء تلك القرون الأفاضل
وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والأدب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك
والطب والرياضيات كالمهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم يعلم مقدار ما لهذه
المدارس ومؤسسيها من الفضل على الأمة وما للناخبين فيها من الأثر العظيم في
الوجود بما سهره من الليالي الطوال في التحرير والتحجير وما عانوه من النصب في
وضع كتب العلم لأفادة الناس حتى ملأوا بها المكتاب ونشروا العلم وما قولكم في
ان عالما واحدا من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع

٧٠٠ درس على كتاب الدارس في المدارس (المئارج ١٣٢٩)

وثمانين وخمسة مئة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكمية كما ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة في ترجمة الموما إليه

ولا يظن أحداً من هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وإن أكثر علمائها وطلبتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها

كلا فإن فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلاً ومن هذه المدارس المدرسة الدخوازية والديفسرية والبودية كما سترون ذلك فيما يأتي إن شاء الله

فضلاً عن هذا فقد أخبرنا التاريخ أن معاهد العلم كانت مشاطاً بين طلابه من كل فن وإن الطبيب أو الفلكي مثلاً كان يلقي دروسه في أي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة بل في الجوامع والمساجد أيضاً لأنها كانت قبل أن توجد المدارس على شكلها المهود أي قبل القرن الرابع أشبه بمدارس للعلم بل هي المدارس حينها وما زالت كذلك معاهد للعبادة والعلم مما إلى اليوم كما تعلمون

واذكر لكم مثلاً واحداً على أن المدارس كانت شائعة لطلاب كل علم ما قلناه ابن أبي أصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال : « وكان مقبلاً بدمشق وهو فقيه في المدرسة النذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمشتغلين عليه في أنواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئاً من العلوم الحكمية »

واعلموا أيها السادة أن كثيراً من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس بالضرورة ومن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثلاً للباقيين أحمد بن الحسين الدمشقي وإليك ما جاء من ترجمته في هذا الكتاب قلاً عن ابن كثير قال :

« الجمال المحقق أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي » اشتغل على مذهب الشافعي وبرع فيه وأقوى وأعاد وكان فاضلاً في الطب وقد ولي مشيخة الدخوازية (مدرسة طيبة) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرضى بالبيمارستان النوري على قاعدة الأطباء وكان مدرساً بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيداً بعدة مدارس

الح ما قال

(المار ج ٩ م ١٣) درس على كتاب المدارس في المدارس ٧٠١

هذا يدل على ان العلوم كانت مشاعا بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالما بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعائمها المدنية الإسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ كدروبي ومنسكيو وكوتاف لوبون وافردوا للمدنية الإسلامية كتبا خاصة اتوا فيها على ذكر ما تركه التمدن الاسلامي من آثار الترقى والعلم التي يجملها أهل هذا العهد بالأسف والعار !

نحن الآن أيها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة ذلك التمدن الاسلامي الذي اخني عليه الزمان واذا سمعتم لي قلمي اختم كلامي ببذرة من تاريخ تلك السلسلة بعد استقناء الكلام على كتاب المدارس هذا ان شاء الله

٢

علينا مما سبق عدد المدارس ودور العجزة التي أنشئت في دمشق ولكن من الذي انشأ هذه المدارس ورفع بنائها وادر الخيرات عليها وأفق من ماله على طلابها اهي الحكومة أو الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرفنا كالأطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلالين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة ولا يطلب من الحكومة امرا . ولهذا فان كل ما جاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما أنشأه الافراد وقام به اهل السخاء والجلود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير وازادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم البعض كلابل كان الافراد من كل الطبقات من أهل اليسار يتسابقون الى تشييد المآاهد العلمية بحسبة لله وحباً بعمل الخير واستبقاء لذكر الحسن في الوجود فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين اسسوا هذه المدارس ، كل مدرسة يؤسسها

٧٠٢ درس على كتاب الدارس في المدارس (المئارج ٩ م ١٣)

شخص بمفرده ويحبس عليها من ملكه ما يكفي ريعه لبقائها، بل أقول لكم والخجل يكاد يمنعني من التكلم والحزن يوشك ان يعقد لساني ان العبدان عبدان أسلافكم أيها السادة شيدوا بأموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم في الفضيلة كم ترفع العبدان الى منزلة السادة في حين ينحط السادة الى منزلة العبدان !

ان العبدان كانوا ارفع قفوسا واسمنا كقرفا منا الآن يا للخجل والخسران ان الكلام وحده لا يغني عن برهان وانكم تنتظرون مني الدليل على هذا البيان واليكم امثلة من عمل العلماء والتجار والسيدات والعبدان قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب :

﴿ المدرسة الطبية الدخوازية ﴾

المدرسة الدخوازية بالصاغة الصيقة قرب الخضراء قبلي الجامع الاموي انشأها مذهب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخواز في سنة احدى وعشرين وست مئة بالصاغة الصيقة كما تقدم وأول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بطبك ثم عماد الدين الديسري وهو بها الى الآن الخ ...

﴿ المدرسة الديسرية ﴾

غربي بیمارستان النوري والصلاحيه بآخر الطريق من قبله قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وست مئة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربيعي » الرئيس الطيب ولد بديسر سنة ست مئة وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وثقة للشافعي وصحب البهاء زهير وتآدب به وصنف ، الى ان قال قلاعن الاسدي « العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء باقرب من بیمارستان نور الدين الشهيد » الخ

﴿ المدرسة اللبودية ﴾

« اللبودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وست مئة » الى ان قال قلاعن ابن ابني اصيعة « كان علامة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكيم » الخ ...

(الماراج ١٣م٩) درس على كتاب الدارس في المدارس ٧٠٣

هذا عمل العلماء واسموا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة
لم يعمل مثله احد من اғنياء هذا الزمان :

﴿ المدرسة المزلقية ﴾

المزلقية بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخالص
الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق
ميلاده سنة اربع وخمسين وسبع مئة وكان ابوه لبانا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند
جامع يلبن قنشا ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها
كسب فيها مئة الف دينار وثمان مئة درهم وافتحت عليه الدنيا وعمر املاكا كثيرة
وانشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون
التجار. افق على عمارها ما يزيد على مئة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت
في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر
الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة
الحسنة وعين للحجرة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت
في كل عام الى آخر مقال ...

وهذا مثال آخر لتاجر غيره ايضا

﴿ المدرسة الرواحية ﴾

شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقة شمالي جيرون وغربي الدويلق
وقبلي السيفية الحنبلية : قال ابن شداد بانها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف
بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في من مات سنة اثنتين وعشرين وست مئة
«والزكي ابن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري التاجر العدل واقف المدرسة الرواحية
بدمشق وأخرى بحلب» الخ
ومن امثلة عمل النساء

﴿ المدرسة العالية ﴾

العالية شرقي الرباط الناصري غربي سفيح قاسيون تحت جامع الافرم واقفها
الشيخة الصالحة العالة اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة

٧٠٤ درس على كتاب الدارس في المدارس (المجلد ٩ م ١٣)

التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيعية بانيها الشيخ ابو عمر الكبير) وكانت فاضلة لما تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحبية بقاسيون على الحنابلة الخ ...
ومن امثله عمل البدان

﴿ المدرسة الصامية ﴾

الصامية داخل باب النصر والجالية قبلي الطراوية بشرق ، قال القاضي عز الدين بانيها صارم الدين ازبك عمك قايمزالتحبي ورأيت مرسوما بعتبتها ماصورته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحما الله تعالى الخ .
ارأيتم ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا يعملون مالا يعمل به الجماعات منكم اليوم ؟ ان الافراد هم الذين ينهضون بالام وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعائمها وتشيد بانيها

تطعن ايها السادة ما كان لترجمة كتب أهل التمدن القديم كالليونان والفرس الى العربية من الأثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء العباسيين وقد يتوهم البعض ان الذي غني بترجمة هذه الكتب انعام الخلفاء وحدهم واخصهم امير المؤمنين المأمون ، والحال ان للكثير من الافراد ورجال الفضل والنبل من الامة يدا لا تنكر في هذا السبيل

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لا يقل تأثيرا في الهيئة الاجتماعية عن عملهم مجتمعين . ولذا لا أباغ ان قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكاوتهم وعلمهم المدنية وشيدوا اركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل أهل السخاء والجود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم على المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية . ومن هؤلاء الافاضل الاجواد

(المار ج ٩ م ١٣) درس على كتاب الدارس في المدارس ٧٠٥

الذين رصدوا جزءاً كبيراً من أموالهم على المترجمين للكتب العلمية في تلك المصور
علي بن عيسى العباسي ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير وعلي بن يحيى
الكاتب وابن المدير الكاتب وثاوري الأسقف ومحمد بن عبد الملك الزيات
وبختشوع الطيب والعدد الكثير من أمثالهم المولعين بالترقى والعلم الذين كان ينفق
كل واحد منهم أموالاً طائلة على قلة المعلوم إلى اللغة العربية حتى لقد قل ابن أبي
اصيمة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين
الف دينار قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا المقصد
وإننا والله لنتنى ان نجتمع هذه الألف دينار في كل شهر من ألف غني من أغنيائنا
اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم ورقية الناشئة من أبناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم
لعوضوا عليهم ابناءؤهم اصحاباً مضاعفة في القدر بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية
لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشرين سنة جنة قطونها العلم وسياجها القوة والحياة
ولنعد إلى ما كنا بصدده فتقول :

بمثل هذا البذل على ترجمة كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها
ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارفع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل
بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختشوع وبني سهل
وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابو عثمان الدمشقي
وابن كزيب ويحيى بن عدي المنطقي وابي الفرج الطيب وابي الريحان البيروني
والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي واضرابهم من العلماء
الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة إبان التمدن الاسلامي
ومثل بني زهر ويحيى بن السمينة وابي القاسم المرحطي امام الرياضيين والفلكيين
في عصره وابن السمع الفرناطي المهندس وسعيد ابن عبد ربه وابي جعفر الترحالي
وابي الوليد بن رشد وابنه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في القرب
ومثل بن الميّم البصري صاحب التأليف الفزيرة في الرياضيات والفلك
والبشر بن قاتك وعلي بن رضوان وتلميذه افرائم ابن الزقات والشيخ السديد رئيس
(المار ج ٩) (٨٩) (المجلد الثالث عشر)

٧٠٦ درس على كتاب الدارس في المدارس (المخرج ١٣ م ٩)

الاطباء شمس الرئاسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين أبي خليفة وأمثالم
من ظهوروا في مصر
كل هؤلاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها
من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المئة ممن ظهوروا في عصرهم وبعده في الشام
وبغداد ومصر وقارس والمغرب والروم أي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار
الاسلامية في الشرق والغرب وأما وضع لم الاساس افراد من الامة قدروا قدر
العلم فشيّدوا معاهده وترجموا كتبه واكرموا أهلها فتكون من عمل أولئك وهؤلاء
وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي قدناها بعد ولم نستطع
الالحاق بأبناء التمدن الحديث لأعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية
وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وتشديد دورها مع اننا قد يطلب منا الآن
ومن جماعات فلا نجيب ما كان يعمله الافراد من اسلافنا من تلقاء أنفسهم وبمحض
وغبتهم بالعلم والمعارف وحجهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم
وبالجملة أيها السادة إننا أمة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا أسلافنا
درسا لا يمحوه الزمان ، وقد نقش في كل زاوية من المشرق ومكان ، فلا يبلغ بنا
ضعف النظر أو ضعف القلوب والهم وفساد الاخلاق واستحالة الدم إلى أن تتناساه
ولا تقرأ صحف الزاهية التي يدعونا كل سطر منها إلى التذكر والتفكير والسعي الخيث
إلى الترقى الذي مناطه العلم . والعلم يحتاج إلى المال . فالمال المال : الكرم الكرم :
الانتباه الانتباه : والا قضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا أسلافنا الطاهرون
ولا يكون ذلك ان شاء الله ما دام فينا الكرام الصيرون والرجال المفكرون
والسلام عليكم .

حياة الزيتونيين

كتبت مقالة في المجلد الثاني عشر من المنار (ص ٦٥) عن اضراب الأزهرين عن حضورهم دروسهم إلا أن يجابوا الى مطالب لم طلبوها وجذبت صنمهم ذاك وعدته نهضة لم وكان الكتاب يسمون عملهم اعتصابا ولكن تلك النهضة أو ذاك الاعتصاب كانت نتيجة الفشل لأن مقدماته ألقت من التنازع ولأن أولى الأمر هنا رايهم أمر الأزهرين واكبروا مطالبهم لم بأن يتوفروا على اصلاح حللم فخذلهم وذلك شأن أرباب السلطة يزدرون طلاب تغيير الحال ويدونهم من المجترمين المذنبين !

اعتصب الأزهريون في العام الماضي وليست حللم دون حال اخوانهم الزيتونيين بل ربما كانوا أرقى منهم فكان من المنتظر أن ترن اصدااء خطب الأزهريين في جامع الزيتونة قنزلزل قواعد الجود وتنداعى لها أركان الجمول وشاء الله أن يخذو طلاب جامع الزيتونة حذو طلاب الجامع الأزهر في طلب تغيير الحال الى ما هو أصلح للمال وأنجح للأعمال وانما المدرستان أو الكليتان تسيران على نمط واحد هو ذاك الطراز القديم طراز الافتراضات وكثرة التمثل والتأويل فيها حتى صارت العلوم في هذين الميادين مناقشات نظرية عقيمة تؤخر عن طلاب الدنيا ولا تلحق بأهل الدين

صاح صائح التونسيين واعتلى خطيبهم المنبر طالبا حياة جديدة تبعثه من قبر الجمول والجود فأجفنت لصيحته قلوب واغبتت أفئدة وانما أجفل أولئك الذين يستطيعون انقياشه ولكنهم لا يرضون منه إلا أن يبقى سادرا لاها ويحسونه عاقا مارقا اذا تطال الى المجد وطمح الى العلو والسمو

لقد فتحت مقالتي قلوبنا اذ حملت الينا ربح الغرب اريج اخواننا الزيتونيين الذين اعتصموا في مطالبهم بالأناة والصبر وجنحوا للسكينة والحلم واستمسكوا بالعروة

الوقت التي لا انقضاء لها ولا خذلان لمن استمسك بها . تمثلناهم غادين راحلين ولم
من آداب الدين الخفيف وعظاته روادع من الأدب وزواجر من الحياء ومن سيرة
اعلام قرطبة وأئمة بغداد وأدباء غرناطة درس حكيم بهديهم الى الطريقة المثلى فكنا
نشعر بسرور لا يدانيه سرور وقول في أنفسنا تالله لو أعطيت لهم العلوم الصحيحة
النافعة لفاق الخلف السلف والله يوتي فضله من يشاء فهو لا يختص بجبل ولا قبيل
طال الأمد على سكون المسلمين وركونهم الى مخلفات قرون الظلمات التي
ضمت فيها شأن العلم وجمدوا على التقاليد الخلقية التي لا تنهض بها حجة ولا يقام
عليها دليل ولم تكن حالم اذ أخذوها قضية مسلمة الا محال أولئك الذين نزل فيهم
قوله تعالى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ولو رجعوا الى
تاريخ أسلافهم في عصور السعادة لاحتدوا حذو أولئك ونفذوا طريقة هؤلاء نظرياً
ويا بعد ما بينهما

لم يكن للمسلمين وقد احاطت بهم العظائم وطافت بهم النذر أن يرتضوا لانفسهم
بقاء التسكع في دياجير الجهل والترطل في حياض الخمول وهم الذين أرشدهم دينهم
الى الضرب في منابك الارض والنظر في اسرار الكون والاعتبار بتاريخ الامم التي
بادت واقرضت لكفرها بأنعم الله وجمال العزة وصفا لاهل دينه لاتنك عنهم
ماداموا مؤمنين

ليس بمعجيب أن ينهض المسلمون في مشارق الارض ومقاربها مادام القرآن
الحكيم محفوظاً في صدورهم متناولاً بين أيديهم وهو الذي ينحي على التقليد واهله
ويستفز الهمم ويحدد العزائم الى طلب الآخرة بالعمل الصالح وطلب الدنيا بالسير
في منابكها وعلومها انما هي وسيلة موصلة اليهما ليس بمعجيب ان ينهضوا وانما المعجيب
أن يلبثوا في عماية عن أمره ونهيه معرضين عن نذره وعظاته ولذلك قلنا ولا نزال
نقول ان اصلاح المسلمين لا يأتي الا من ناحية دينهم وعلماؤه حملة القرآن فنحن اليوم
نقرض عمل الزيتونين ونعده مبدأ حياة جديدة ستكون زاخرة بالعلوم النافعة حائلة
بالاعمال الرافعة ان شاء الله تعالى ونثني على أولئك الزعماء الفضلاء الذين نظموا
الاعتصاب وساروا بهم على نهج التوادة والرزانة ونحمد للحكومة جنوحها لابن

(المارچ ٩ م ١٣) الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ٧٠٩

واجابها الطالب التونسيين بعد تلك الذبذة والتفشم والانذار والوعيدوا حراجها صدر
العدل بسجن فئة من زعماء الطلاب واتنا قول الآن عفا الله عما سلف ونهي
اخواتنا الطلاب المجتهدين بنوزهم وقلجهم وزجروا أن تبقى نفوسهم دائما ظمأى الى
مالم يأتوا من العلوم واعيدهم ان يخذعوا بأماذج المادحين ويركنوا الى العاشين
المتفيقين فليس مأحرزوه هو كل الاصلاح وانما هو وشل من بحر وعلى الله قصد السبيل
ولطنا نوفق لكتابة مقال مطول في هذا الموضوع

حسين وصفي رضا

الشيخ جمال الدين الافغاني (والشيخ محمد عبده)*

كنت كتبت رسالة بينت فيها فساد زعم الذين يتهمون الشيخ جمال الدين
الافغاني بالمروق وأوضعت بطلان هذا البهتان بأجلى بيان وطبعت تلك الرسالة
ونشرتها فتداولتها الايدي واشتهرت بين الناس وبعدها سمعنا بهتان جديد وهو
أن الاستاذ لم يكن مارقا ولكنه كان وهابيا

عجبا هل يعرف هؤلاء الذين بهرفون بما لا يعرفون معنى ومبهم الناس بالمروق
قارة وبالوهاية قارة أخرى ؟ أم هل درى أولئك الخراصون الاقا كون ناشر و
الافك والبهتان أنهم بعلمهم هذا يدخلون تحت طائلة قوله تعالى « ان الذين يحبون
أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة » الخ ؟
وأما الوهاية فهي بالحقيقة اسم للذين اعتنقوا هذا المذهب وهم معظم سكان
بلاد العرب ومذهبيهم ليس بينه وبين مذهب الحنبلية فرق كبير
عجبا أصار من الدين عندنا أن نثق بكل كلام يراد به إيذاء أي شخص

* (كتب محمد عاكف افندي الكاتب المعروف هذه المقالة ونشرها بجريدة شوري التي
تصدر في اورنبورغ في الروسية تحت هذا العنوان فنقلناها عنها

٧١٠ الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده (المار ج ٩ م ١٣)

والطعن عليه ؛ وكيف يجوز أن نعلم أن نعلم إلى رجل صحيح العقيدة صالح الأعمال ونقول إنه رجل صالح لكنه مارق من الدين ، ثم يتلقى الناس هذا القول وينتشر من دون ترو ولا نظر في أعمال وأحوال من نسب ذلك إليه فلا يمضي قليل زمن حتى يشيع بين الناس بأن فلانا مارق وإن فلانا زنديق

ثم كيف يجوز لنا الحكم بمجرد قتل قوم لا يعرفون من أحوال من يحكون عليه بهذه الافتراآت ولا من كلامه شيئاً يصحح حكمهم ؟

اتنا نعلم أن أكبر جرم في الاسلام هو أن يحكم الانسان على عقيدة انسان آخر ويقعكم فيها وينسبه الى الزندقة تارة والى الوهاية تارة أخرى ؛ مجرد اختلاف في المشرب أو لا قل سبب مع أن الواجب الاسلامي يأمرنا باحترام عقيدة مطلق انسان ما دام يوجد دليل واحد على اسلاميته ضد تسعة وتسمين دليلاً على الكفر والله لا يجوز الحكم بالكفر مع وجود ذلك الدليل

ان اتهام كبار المصلحين بالوهاية في بلاد العرب وبالفرياسونية في بلاد الترك وبالبابية في بلاد المجمع وبالدهرية والمروق في بلاد الر وسياصار امرا معروف ومشهورا جدا . وان تعجب فتعجب فنت خيرة رجال الاسلام بتلك النعوت مثل جمال الدين الافغاني مع انهم هم وحدهم المعروفون بالدفاع عن الدين الاسلامي وهم انفسهم المجتهدون في ترقية بنه بتر بيتهم تربية صحيحة وهم الذين افنوا عمرهم الثمين بانشاء المدارس ليجعلوا لا بناء أمنهم حفظا من العلوم التي تنهض بهم من حضيض النذل الى اوج المز وتوهمهم للجهاد في معترك هذه الحياة ليخرجوا من اسر المظاوية

اذا اعترض علينا معترض من أهل الملل الاخرى قائلا : انكم تهتمون أفضل رجالكم واعلمهم واعقلهم واعلام قدرأ واشدهم غيرة على ملتكم بالمروق والدهرية والفرياسونية والوهاية مع انهم لا يريدون لكم الا الخير والرفي والسعادة فلماذا ؟ لأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل والادب والحمية وحسن الخلق ؟؟ فاذا يكون جوابنا ترى ؟

اذا بحثنا في تاريخ الرجال الفيورين في القطر المصري الذين يدأبون على منفعة

(الناشر ٩ م ١٣) الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ٧١١

الاسلام ويخدمون المسلمين خدمة صادقة نجد انهم تلامذة جمال الدين الافغاني وانهم انما نبضوا بفضل تربيته القوية

لو كان الرجل مارقا من الدين كما يقولون لما قدر ان يوجد رجلا ممتلئين غيرة على الدين وأهله يخدمونه أجل الخدم (لان فاقد الشيء لا يعطيه) ولا هم لم سوى ترقى الانسانية بكل همة ونشاط

ان جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ضاقت عليه الارض بما رحبت سواء كان في الافغان أو الصجم أو تركيا أو أوربا ولم يسمح له ان يقيم في احدى هذه البلاد ناعم البال منشرح الصدر . ولو كان من محبي المال والجاه والمناصب العالية ترك ما اضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة والقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامي ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدي الى النوم الابدي ان لم يسعف بالمنبهات من مثل اوشاد جمال الدين

نعم لو ان جمال الدين ترك خدمة الاسلام واشتغل ببحث افكاره في العالم ولم يمسد الى ايقاظهم لانهات عليه سحب الدنانير ولكان موضع الاحترام وصاحب المقام الذي لا يرام في جميع البلاد

ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفس السامية لم تنزل به في هذا الخفيض حضيض المجد الزائل فما زال مشمرا عن ساعد الجهد مجتهدا بترويج مقاصده الخيرية يصارع الايام ويكافح النوائب غير هيب ولو وجل وثبت في موقف يتحذر على غيرة الوقوف فيه حتى صح ان يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصدقت عليه عبارة كمال بك التركي « احسن شيء وافضل في هذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

هذا وان الذين يقترون على جمال الدين الافغاني بالمروق والوهابية تراهم لا يألون جهدا برمي الشيخ محمد عبده باكثر مما موه به (كان الكفر والمروق على نسبة النفع للامة) نعم ان لهؤلاء الافاكين مصنع كفر لا يفتأ يصوغ من حلي الكفر اجودها لهؤلاء الرجال العظام فانا ارجو منهم بعد النظر في مؤلفات الشيخ محمد عبده ان يثبتوا لي علامات الوهابية التي ينكرونها عليه ولو بأي صفة كانت ويظهرونها للام

٧١٢ الشيخ جمال الدين الانفاني والشيخ محمد عبده (المأرج ٩ م ١٣)

ان بعض الناس يقول « انه لا موازنة بين زهد الشيخ محمد عبده وبين علمه » (١) وربما كان كذلك وهل اذا امضى الشيخ محمد عبده عمره معتكفا بالمساجد مواظبا على صلاة النافلة أ كان يفيد الاسلام أكثر مما افاده ؟ اتنا لا نطن ذلك بل ان رده على عالم افرنجي مثل هانوتو ومدافته عن حقوق الملايين من المسلمين هي في نظرتنا أحسن عملاوا أكثر ثوابا من الاعتكاف وصلاة النافلة

انظروا الى قول عمر رضي الله عنه لأبي قلابة التابي « ان اكتسابك الرزق ليعالك أحسن عندنا من اقامتك في المسجد » وهل يسجز أبو قلابة عن تربية عياله وأولاده في زمن يمش فيه الناس بقليل من النقطة عيشة الرفاهية من غير نجش مشاق الكسب ؟ ومع ذلك فقد أمره عمر رضي الله عنه بالكسب ونهاه عن الإقامة في المسجد اما محمد عبده فانه لم يكن مثل ابني قلابة ولا هو في زمن مثل زمنه بل هو في زمن يحتاج فيه ان يشمر عن ساعد الجد لاجل تربية عائلة تبلغ الملايين من الاشخاص هانحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا مثل جمال الدين ومحمد عبده وقد مضيا الى خاتهما وتركنا كالماشية بلا راع بل اتنا اصبحنا واقفين موقف الحيرة لا ندرى ماذا نعمل ولا نهتدي طريق النجاة

فالواجب علينا ان نذكر مثل هذين الاستاذين بالخير لانهما خدما الدين وكانا من حماه وأن نسالهما من الله الرحمة والفران لكي ينالا جزاء عملهما الصالح نعم ويجب أن نعرف بفضلهما وارشادهما لئلا نبطلنا الاجيال المقبلة وتعيينا حيث اتنا لا نعرف لاهل الفضل فضلهم ولا أجل أن يعلم القوم الآخرون اتنا أناس نعرف فضل المصلحين واتنا لسا من يكفرون النعم ، ويحسن ان أورد هنا حكاية صغيرة وأجعلها ختاماً لهذا الموضوع وهو أنه قابلي قبل خمس سنوات وجل افرنجي وقال لي « انكم قوم محرومون من معرفة الصناعة وانتم معذورون في هذا أما في عدم تفكركم في معرفة قدر الرجال فليستم بمعذورين بل ان هذا ذنب لكم لا يعفرو وهو من أشنع الذنوب » فاعتبروا يا أولي الابصار .

(المارچ ٩ م ١٣) الخلاقة الاسلامية والجامعة العثمانية ٧١٣

الخلافة الإسلامية

(الجامعة العثمانية)^(*)

١

« الحكم الجاهلية يفنون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »
« قرآن كريم »

ان الدين أعظم مهذب للنفوس وآثاره تظهر في الناس بقدر استعدادهم للخير أو الشر وبهذا كان التباين الذي لولاه لما ثبت دين اذ لو توحدت الفكرة الدينية لزال الصعوبات لان كل فريق مضطر ان يناضل الآخرين ليثبت لهم انه على حق . وما هي البراهين التي تحملنا على تصديق فريق وتكذيب آخر ؟ لماذا نعتبر والد ابراهيم خطئا في عبادة الاصنام ولماذا نحبد فعل ابراهيم عليه السلام لتعطيه تلك الاصنام وعبادته الحي القيوم الذي لا ينقل ولا ينام ؟ «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم» الآية يتأمل الانسان فيما حوله من الكائنات فيجد ما سائرة بنظام واحد مبسرة لما خلقت له «ما ترى في خلق السموات من تفاوت». وما الطبيعة الا ذلك الناموس الذي يخضع له كل شيء في الوجود واني بقدر ما وصل اليه بحقي اعتقد اعتقادا راسخا ان الاسلام هو الدين الطبيعي اودين القطرة التي فطر الله الناس عليها ذلك هو الدين القيم ولكن أ كثر الناس لا يطمون وان جميع مبادئه موافقة

(*) لي القدي مهمي الكاتب للمروف

(المجلد الثالث عشر)

(٩٠)

(المارچ ٩)

٧١٤ الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية (المارچ ٩ م ١٣)

لنواميس الطبيعية واني أوّمل ان كل محب للحقيقة يسلم معي بهذا الاعتبار ويعترف بما للاسلام من المزايا النافعة والمبادئ الشريفة طرق كثير من كتاب الغرب باب الكلام في الاسلام، ونبه عليه الصلاة والسلام، ومن سوء حظي اني لم أتمكن من الوقوف على آراء السابقين وان فزت ببعض آراء اللاحقين مثل دانييل ولوتر وملائشون وهربولت. ولكني أرى هؤلاء الناس يتناولون على ما ليس لهم به خبر شأن كثير من بني الانسان في كل زمان ومكان. ليست دهشتي من الذين يذمون الاسلام مثل هانوتو ولورد كرومر باكثر من دهشتي للارثين لوثر وهو ذلك الحر الابي المفكر الذي كوز المذهب البروتستاني بالرغم عن سلاسل واغلال الفاتيكان في المصور الوسطى. ولكن الاغراض السياسية تسربت الى نفوس هؤلاء الكتاب فاعمت بصيرتهم فلم يخطوا الا ماتوجه اليهم اغراضهم. الا ان الحق لا يعدم انصارا وانا لذا كرون هنا في مقدمة هذه الرسالة بعض آراء المنصفين من كتاب الغرب في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ليرى كل منصف ان الاسلام لا يعدم من الاعداء ظهيرا وكفى بالله وليا ونصيرا.

كتب مستر جون وينغبورت الرحالة الشهير في كتابه (تاريخ محمد): «هل في الامكان انكار فضل رجل (بني النبي صلى الله عليه وسلم) قام باصلاحات عظيمة خالدة لبلاده بان جعل جميع أهلها يبدون الله الواحد القهار ويهجرون عبادة الاصنام ذلك الذي منع قتل المؤودة وحرم شرب الخمر ولعب الميسر؟» وكتب ادوارد جيبون: «ان دين محمد خال من الشكوك والظنون والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله بعد ان نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب

(المار ج ٩ م ١٣) الخلافة الاسلامية والجامعة الثانية ٧٠٥

وهذا الدين أكبر وأجل من ان تدرك اسرارهِ المويضة عقولنا الحالية «
وكتب مستر ديفونويت في كتابه (اعتذار الى محمد والاسلام): «انه لمن
الحماقة ان نظن ان الاسلام قام بحد السيف وحده لان هذا الدين الذي
يهدي للتي هي أقوم - يحرم سفك الدماء وبأسر بالمعروف وينهى عن المنكر.
ويجب ان نمتدح هنا بان علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات - التي
أنعشت أوروبا منذ القرن العاشر - مقبسة ومقتطفة من القرآن (١) بل ان أوروبا
مدينة للاسلام بأكثر من ذلك لانه الدين الذي أصر بالدستور
والديموقراطية ونهى عن الاستبداد في قوله (تعالى) «وأمرهم شورى بينهم»
«وشاورهم في الامر» . منح الاسلام الانسان جميع حقوقه
المدنية ولستذكر أوروبا انها مدينة للمسلمين اتقهم يحفظ آداب الغرب
القديمة حينما كانت هي في ظلام دامس فحفظوا آثار فلاسفة اليونان
وانشأوا علوم الطب والهندسة وغيرها . وبعبارة أخرى ان المسلمين هم
اساتذة أوروبا أثناء هجيتها من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر «

وكتب كاتب مقالة تحت عنوان (الشرق والغرب) جاء فيها: «لقد ساوى
الاسلام بين جميع الناس في الحقوق السياسية ورفع عن كواهلهم الضرائب
الفادحة في قديم الزمان وحفظ لهم جميع حقوقهم وضم استبعاد الانسان
الانسان» ومع ذلك فان ساسة أوروبا وخصوصا الانجليز منهم لا يدخرون
وسعا في التطاول على الاسلام ورميه بكل نقيصة وانه داعية التأخر بمناسبة
وبغير مناسبة، من ذلك انه عندما حصل اعتصاب طلبة الأزهر قالت التيمس
والجرائد التي على شاكاتها ان الأزهريين ميالون للتأخر وهذه الافتراآت
تنافي سيل علماء الاسلام وتعاليمه على خط مستقيم. قال أحد فضلاء الانجليز

٧١٦ الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية (المأراج ٩م ١٣)

في إحدى الجرائد بهذه المناسبة: «أنا نعتقد أنه إذا كان ثمة دين خال من مبادئ التقيهر فما هو إلا الدين الإسلامي الخيف، وهل يقدر انسان على نسيان ما قام به علماء الأزهر وشيخ الإسلام نفسه في أثناء تلك الحركة الدستورية التي قامت سنة ١٨٨٢؟ من غير العلماء أصدر قراراً ضد توفيق باشا؟ ألم يكن شيخ الإسلام في الآستانة هو الذي قال للسلطان: إن الشورى ليست من روح الإسلام فقط بل إنه يأمر بها أمراً؟ ومن قام في مجلس المبعوثان وخطب الخطب العصماء بوجوب مساواة جميع العناصر العثمانية بصرف النظر من المال والنحل في مصالح الوطن غير العلماء؟

ولقد قام العلماء بمثل هذا العمل في روسيا فانه لما كان الارمن والتتريفتك بعضهم ببعض سنة ١٩٠٥ على مرأى من البوليس الروسي في باكو كان رجال الدين المسلمون أول من نهض لحسم النزاع بين الطوائف والمشار. وهام رجال الدين الإسلامي يبذلون جهودهم في سائر البلاد ويحتون التتر على تشييد المدارس لنشر العلوم الحديثة لترقية ابنائهم والقاء المحاضرات التي تمصمهم عن ارتكاب الآثام ولكن الحكومة لسوء الحظ تحاول ايقافهم عن مساهبتهم الحميدة خوفاً من أن يستثير الاهالي فيسموا الاسقاطها او يتوسموا باطالبتهم منها. ومن عجيب ما يلاحظ أن مسيحي تلك الجهة ومعظمهم من الفلاحين قد تأثروا بأرشاد رجال الدين الإسلامي وسعيهم وراء العلوم والمعارف فدخل الكثيرون منهم في دين الله أفواجا واضطرت الحكومة ان ترسل الى تلك النواحي مرسلين خصوصيين لمقاومة تلك الحركة الضارة في نظرها. هذا هو الإسلام وهؤلاء هم رجاله ومع ذلك فان سواس الانجليز

(المارچ ۱۳م۹) الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية ۷۱۷

لا ينجعلون من أن يصموه ويصموه رجاله بالتأخر والتقهقر .
ولا شك في أن آراء أولئك المنصفين من رجال الغرب ا كبر حجة عليهم اذ أقروا بأن هذا الدين القويم لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فتم بذلك قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

ولا عجب أن يقرأ أولئك الناس بفضل النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أقروا بمجرم عن معارضة قوى آيات الذكر الحكيم القائل « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « وانك لم يخلق عظيم » « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نقصوا من حوك » وهذه الآيات مصداق للحديث الشريف « أدبني ربي فأحسن تأديبي » أو كما قال

يدعون ان الاسلام خال من الوطنية فهل يمتنع أولئك المقتررون بما جاء في الذكر الحكيم : « رب اجعل هذا البلد آمناً واجتنبني وني أن نعبد الأصنام » ألا ينجعلون من حكاية أبي وئيل الذي دل صاحب القيل على طريق وطنه وخان بلاده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم قبره كما فعل هو ذلك بيده الشريفة ؟ ألم يأتيهم نبأ الحديث المتداول « حب الوطن من الإيمان »

يدعون ان الاسلام دين تواكل وتقاء لا عمل ولا نشاط فيه . وهذا قول مردود ودعوى كاذبة بنص الذكر الحكيم « وان ليس للانسان الا ما سعى » والحديث المتداول على الالسنه ايضا « اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » والحديث الشريف « ليس بخيركم من أخذ من هذه وترك هذه انما خيركم من أخذ من هذه وهذه »

٧١٨ الخلاقة الإسلامية والجامعة الشمانية (المازج ٩ م ١٣)

يدعون ان الاسلام لا يلائم بعض العلوم الحديثة مع انها في الحقيقة
وتقس الامر فرية يدحضها ما حواه القرآن الشريف أصل هذا الدين
الحنيف من الحث على العلم والسعي واكتشاف اسرار الطبيعة قال تعالى :
« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » « قل انظروا في السموات
والارض » « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « أولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض ومما خلق الله من شيء » « وفي
أنفسكم أفلا تبصرون »

يزعمون ان الاسلام استعبد المرأة ويستبدلون على ذلك بالحجاب
أو النقاب ولا يفتهمون ان ذلك يزي الى الموائد التقليدية اكثر مما يزي
الى الاصول الدينية . ولقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فلم يجعلها
مناخلة كما يزعمون نظرا لايضاة الطلاق وتعدد الزوجات ولا يدرون
ان هذه التصرفات تكون لأسباب غير عادية وانه اذا افراط فيها المسلمون
فذلك راجع لأخلاقهم الشخصية وليس افراطهم هذا من الدين في شيء .
وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « فاذا خفتم الا تعدلوا فواحدة
الى قوله تعالى « ذلك أدنى الا تمولوا » ثم جاء بعد ذلك « ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وفي حديث شريف « انقض الحلال
الى الله الطلاق » . وفي قوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم
أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ان ذلك لآيات لقوم
يتفكرون » فمن ذلك يرى النصف ان تعدد الزوجات والطلاق أمران
يكادان يكونان محرمين في الاسلام .

لقد أباح الاسلام للمرأة حق القضاء اذا منعهما غير من الأديان من هذه الجهة ؟

(المارچ ٩م ١٣) الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية ٧١٩

ينكر هؤلاء القوم على المرأة مطالباتها بحقوقها بصفتها حقوقاً لاهية كما هو الحال الآن في أمريكا وأوروبا ثم يظنون باستعباد المرأة في الإسلام وهي تطالبهم ببعض مآمنحه الإسلام لها فيسخرون منها جاء في الذكر الحكيم : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أوتقوا من أموالهم » وهي ميزة لا تكاد تذكر والسبب فيها أن الرجل بناء على المنظمات الكونية هو الذي يسمى ويكده وهي أكثر منه راحة في خدرها بوجه العموم وهي معرضة للتأثيرات القلبية والنفسانية التي قد تغلب على العقل فكان الرجل في هذا المعنى كشكيمة لتطرف النفس والعقل . يدهون أن الإسلام دين حرب وعداء، لا سلام وصفاء، وقيمون على ذلك دليلاً كوساً من الفتوحات التي نمت في صدر الإسلام ولوا بهر هؤلاء المدعون لعلوا أن تلك الفتوحات لو تمت على أيدي غير المسلمين لاذقت تلك الأمم التي غلبت على أمرها أنواع القتل والمسكنة بناء على قواعد الاستعمار الأوروبية التي لا يسم المقام شرحها . جاء في القرآن : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله بما تعملون بصير » ، ان الله كان سمياً بصيراً » هذا ما كان يعمل به الفاتحون من أمراء الإسلام أفلاتنجعل أوروبا اذا قارنت به عملها اليوم في الشعوب التي أخنى عليها الدهر فوقت تحت سلطانها ؟ جاء في القرآن الكريم « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

٧٢٠ الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية (المخرج ٩ م ١٣)

لها ، ولم يكن القتال في الاسلام الا لتأييد الدعوة وللدفاع عنها قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تقعدوا » هذه بعض آيات من الذكر الحكيم فأين أمرها مما قاله المستر موط المرسل الأميركي في خطاب القاء على جمهور من المرسلين في الشرق الأدنى : « بواسطة مئة رجل نظيركم يهتمون الصواب وعشرين ألف جنه يقدر الله ان يلاشي الاسلام ويتناش بلاد العرب من قبضة الشيطان III » ؟

ان نصارى الشرق لم يأمنوا الا كراه على ترك دينهم بفضل شجاعة افرادهم ولا بعجائب كنيستهم ولكن الذي وقام ذلك انما هو ماأوردناه من الآيات القرآنية فانها ضمنت لهم سلامة استقلالهم الديني وصانت عقيدتهم من كل اعتداء ولو كان المسلمون الآن كما كانوا في صدر الاسلام لما أمكن أولئك المرسلين ان يأتوا بمشار مايقولونه في الشرق الآن بل لا تنشر الاسلام في سائر أنحاء العالم لانه دين مساوق للطبيعة ملائم للنوع الانساني في جميع اطواره يقبله كل عقل فطري لم تدنسه التقاليد . بل لو كان المسلمون الآن كما كانوا عليه في صدر الاسلام لما قدرت أوروبا بأن تستعمر شبرا واحدا من بلادهم أو بلاد الشرق أو تستعبد قبيلة واحدة فيها . قال الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « ان الازهر كالا سد عجوس في قفص والحكومة المصرية كالخارس على بابه فاذا فتح ذلك الباب كان أول فريسة لذلك الاسد ذلك الخارس »^(١) ونحن نزيد على ذلك انه لو فتح ذلك الباب وتسم ذلك الاسد نسيم الحرية لا عاد الشرق الى الشرق والغرب الى الغرب

(لها بقية)

(١) المثار : تفتقر هذه العبارة الى اثبات ورودها عن الاستاذ الامام